رواية
جبلنار
منى " قبس دخيل "

جلنار

منى " قبس دخيل "

رواية

2025 __ 1447

جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلفة.

اسم الرواية : جلنار.
المؤلفة: منى قبس دخيل.
تدقيق ومراجعة: المؤلفة.
تصميم الغلاف: مرتضى العواضي.
التنسيق الداخلي: آيات عبدالرزاق.

تنوية

يُسمح بنشر أجزاء من هذا العمل مع تضمين اسم المؤلفة أو اسم الرواية،
ولا يجوز نسخ أو اقتباس أي جزء منه بهدف إهدار الحقوق الملكية
الفكرية أو إعادة إنتاجه بأي شكل مادي أو معنوي
إلا بعد موافقة الكاتبة.

إهداء إلى:

أُهدي هذه الرواية التي كتبتُها بقلبي وليس بقلمي إلى

قُرّة عيني وزوجي وسندي وشريك حياتي، أحمد محمد محيمد "أبو الكيف" .

ولأطفالي وفِلذاتِ كبدي .....

مُحمد

سجى

حسن

مُصطفى

عُدي

لكم منّي كلّ الحُبِّ والامتنان.

سأزولُ يومًا، لكنّ حروفي ستبقى معكم .

" المُقدمة "

أضعُ بين أيديكم أبجديةَ العشقِ ومخطوطاتِ النّور السرية التي تناقلتها أوتارُ القلم .

" جُلنار " الفتاةُ الجميلة والابنةُ البارة، وريثةُ خاتون و الحاكمةُ الجديدة .

تمرُ بمراحلَ صعبة في حياتها مع أمّها وذِكرى أبيها الذي لم تراهُ أبدًا .

تُعاني من العشق كأمّها وتنتظرُ لقاءَ ربيع .

ذالكَ الأميرُ الوسيم الذي حوّلتهُ ملكةُ الوادي لطائرٍ نادر .

إنّهُ حقًا نادرُ الوجود، كيف لهُ ألّا يكون ؟! فمن المستحيل أن نجدَ رجلًا وفيًا صادقا مثلهُ، يحملُ قلب حبيبتهِ في صدرهِ وينزعُ قلبه ليرسمهُ وردةً بيدِ جُلنار .

" جُلنار " قائدةُ الملحمةِ التّاريخية، تخوضُ معركةً ضد الشّر وتنتصر بمساعدةِ مستشارها و الجيش الفيلسي وتستطيعُ فكّ تعويذةِ الطّائر .

ستمرُ معكم صورًا كثيرةً تجسدُ علاقاتٍ اجتماعيةٍ مُتعددة . الصداقة، علاقة الجار بجاره، الانطباعات الإجتماعية حوّل الزّواج والحُبِّ والغياب والانتظار، لكن سأضيفُ عليها رشةً من الخيال لتصبحَ أكثرَ مُتعة وتشويق .

في قريةٍ نائيةٍ تتموضعُ كالزهرةِ فوقَ أُذُنِ الجبل،

سكنت"جُلنار".

إنّها فتاةٌ جميلةٌ وروحها نقيّة، تمتلكُ أعينًا سوداءَ كحبّات الفحمِ المُختبأة بمنجمٍ عتيق،وصافيةً فيها بريقٌ يُشبهُ بريقَ النجومِ في سماءٍ أرملةٍ تفتقدُ وجه حبيبها القمر .

لها شعرٌ بُنيّ كالونِ القهوةِ العربيةِ ينسدلُ فوقَ كتفيها كشلالٍ رقراقٍ يداعبُ سفحَ الجبل، يتموّج شعرها ويتلامعُ كقطراتِ الندى المولودةِ للتوّ.

عندما تذهبُ للحقلِ تصنعُ من شعرهاجدائلًا مُتقنة كسنابلِ القمحِ الّتي تتراقصُ بين الحقول وتنحني من ثُقل ماتحملُ؛ كزاهدٍ راكع يفيضُ قلبهُ إيمانًا .

عندما تذهب للنومِ تُرخي خُصلات شعرها وتحرّرُها من قيودِ الزّينة لتتأرجحَ كطفلةٍ بريئةٍ تركضُ بين الأزهار .

فوقَ وجنتها اليُمنى يتربعُ خالٌ أسودٌ يجمعُ أبعادَ الجمالِ في نقطةٍ واحدةٍ لتكونَ مُلتقى الرونقَ والبهاءَ

فيها،لها وجنتان كتفاحتين ناضجتين ينتظران القطاف بلهفةِ العاشق.

ثغرُها صغيرٌ كحبةِ عنبٍ حمراءَ مُغتسلةً بماءِ الثّلج محترقةً بشمسِ آب، إن لمستَها تعتصرُ خمرًا سائغًا شرابُهُ لايُذهبُ العقلَ بل ينثرهُ بين السّماءِ والأرض ثم يلمُهُ إليها.

إن نظرتَ إليه؛ تعجبتَ من إتقانِ الحدود ورصانةِ الحروف المتدفقةِ منهُ كأنّها معزوفةً نادرة.

تمتلكُ لونًا أبيضًا كحبةِ لؤلؤٍ تتداخلُ عبرها أشعةُ الشّمسِ عند شروقها، ميساءُ حوراء تجتمعُ بكفّيها رموزُ الأنوثةِ كلُّها وتنتهي بها وعندها.

رُوُحها كطيرٍ أبيضٍ يحترفُ اختراقَ السّماء والعومَ فوقَ الأرضِ وقلبُها كقلبِ عصفورٍ لايفقهُ الغِلَ والحِقد .

حيثُما تمرُّ ينساقُ ورائُها طيبٌ يُلامسُ الأزهار فيُخجِلُها. ينسابُ ورائُها كجنديٍ مُطيعٍ لاينحني؛ فيزيدَها هيبةً وتميُزًا وجمالًا.

يُلامسُ الحواسَ فيُذيبُها عِشقًا كأنّما تسحرُ من يتذوقُ رشفةً من عبقها فيتفوقُ على أقرانِهِ.

جسدها كأنّهُ مزيجٌ من ياسمينٍ مُعتّقٍ وعنبرٍ ثمينٍ وماءِ وردٍ مأخوذٍ من زهرةٍ نادرةٍ تسكنُ واديَ الألقِ والجمالِ في أعتابِ الأرضِ المجهولة .

إنّها لحمٌ ودمٌ أمْ معجزةٌ تمشي على الأرضِ بصورةِ بشر .

كانت حُلمَ كلّ شابٍ يسمعُ عن ملامِحِها الّتي تسبي القلوبَ، أو يرى أصبعَ يدها الممشوقِ كغزالةٍ برّيةٍ تقتلعُ صببَ الأرض.

لقد التقى العلمُ مع الجمال، والذّكاء مع الجاذبيةِ في سبقٍ غيرِ معهودٍ وكأنّها جمعتهم في قارورةٍ تغتسلُ مِنها مع كلّ ليلةٍ هادئة.

كانت جُلنار تبحثُ في أعيُنِ المارّين عن نورٍ ينعكسُ من روحٍ تألقُها، كانت تريدُ حارسًا أمينًا وحبيبًا صادقًا وزوجًا صالحًا يحتويها ويسكنُها طِوال العمر، في شيبِها وشبابِها، في ضعفِها وقوّتها، في كلّ حالاتها.

أحبّت الأطفال وأحبّوها، كانت تقولُ دائمًا "إنّ قلوبهم وأرواحهم لم تلطّخ بالحياةِ بعد" .

الحيواناتُ دائمًا تركضُ نحوها وتنظرُ إليّها بدهشةٍ وفرح وكأنّها تترجمُ سهامَ عينيها.

قد ترى نملةً أو فراشةً أو قطّةً فتطعِمُهم وتحكي لهم قصصًا مُسلّية وكأنّها تفقهُ لُغتهم وتمتلكُ مفاتِحَ لُغتهم و رموزَ حياتهم.

حتّى الأفاعي عندما تراها لاتقدرُ على أذيتها فتنسحبُ وتلملمُ هزائِمها أمامَ طاقتِها النورانية وتذهب.

لقد سمّتها أُمّها بهذا الاسم؛ لأنّها ومنذُ ولادتها تمتلكُ

وشمًا على عُنُقِها كزهرةِ الرُمان .

هذا الوشمُ الرّباني ليس عاديًا أبدًا، كان يتوهجُ في كلِّ عامٍ مع قدومِ موسمِ انبثاقِ أزهارِ الجُلنار وكأنّها تجمعُ كلّ أسرارِ الحياة لتلقيها كقصيدةٍ في رحمِ الوشمِ المنقوشِ على عُنقِها الجميلِ كزركشاتٍ إغريقيةٍ في قلاعٍ تاريخيةٍ عريقيةٍ .

في كلِّ عام كان الرّبيع يهبُ روحه وبعضًا من زهراتهِ ومواليدَهُ لجُلنار فتشتعلُ جمالًا وعلمًا وذكاءً وتنثرُ البركة و الخير حولّها كغيمةٍ حان مخاضُها فوق أرضٍ يابسة.

أمُ جُلنار تعتقدُ أنّ ابنتها الوحيدة فيها سرٌ لايعلمهُ سِوى اللّه؛ فمنذُ كانت علقةً في رحمها وهي تشعرُ بأنّها تحملُ روحًا تشعُ نورًا في الأرجاء.

لم تشعر بأعراضِ الحمل كسائرِ النساء بل شعرت بالنّشاط و القوّة وكأنّ الجنين يحملُ أمّهُ ويُغذّيها.

جاء يومُ المخاض اليسير، شعرت الأمُ بأنّ السّماء تلدُ بدلًا منها وأنّ الألمَ يتحوّلُ لِدغدغةٍ بسيطةٍ كمداعبةِ ريشةٍ لكفِ طفلٍ يلعب.

ولادتُها رسمت خطًا بين زمنين يرددُ جملة كأنّها قانون لا يجوزُ تجاوزُهُ "لكلِّ مُحبٍ معجزةٌ ولكلِّ ظالمٍ مهلكةٌ".

لقد أنجبتِ السّماء غيومًا اشتاقتها الأرضُ اليابسة.

جاء الغيثُ كتوأمٍ ملاصقٍ لجُلنار، روى الحقولَ المريضةَ العطشة وأنقذَ المحاصيلَ من عقمٍ مُؤجلٍ.

اكتست الأرضُ ثوبًا أخضرًا بعد قنوطِ مُعظمِ أهلِ القرية، لطالما سلكت الغيماتُ طريقًا لايعبرُ للقريةِ وإن أتتْ غيمةٌ ضائعةٌ من سربِها تكونُ كسحابةِ صيّفٍ عقيمةٍ لاتنجبُ قطرةَ ماءٍ واحدةٍ.

بجانبِ بيتِ جُلنار، منزلٌ فارغٌ من أصواتِ الأطفالِ منذُ عشرِ سنين .

تقطنهُ عائلةٌ مُتواضعةٌ مؤلّفةً من زوجين يصطنعان الضّحكات رغمَ الألمِ والحِرمان .

الزوجة "سلمى" الّتي تبلغُ من العمرِ ثلاثين عامًا .

إنّها سمعتْ صرخةَ الطِّفلةِ المُولودةِ حديثًا؛ بكت وناجت ربَّها بطفلٍ يملؤ حياتها بهجةً وفرحًا ولم تكن تعلمُ بأنّ الطفلَ يسكنُ أحشائها حقًا .

كأنّ جُلنار خرجت من رحمِ أمّها ليدخلَ الطِّفلُ كهبةٍ من اللّه لرحمِ جارةِ أُمّها سلمى .

هرعتْ سلمى لبيتِ جارتها السّيدة فاطمة، طرقت الباب بيدها الّتي لاتقوى على الحركةِ بعد الأملِ الّذي ماتَ فيها .

قالت فاطمة: من في الباب؟!

أجابت سلمى بصوتٍ مُتهالكٍ هزيلُ القوام: أنا جارتُكم سلمى ياعزيزتي.

لم تكن الحروفُ تخرجُ من فمها كالعادةِ بل كانت تغرقُ بدموعٍ تجرفُها من الدّاخل.

أحسّت فاطمة بموجِ فؤادِ سلمى وقالت: أُدخلي يا عزيزتي، فأنا أحتاجُكِ بِشدّة .

جعلتْ تُطيبُ خاطِرها الّذي تشظّى ككأسٍ بِلّورٍ مُحطّمٍ وتُردِدُ على مسامِعها العباراتَ اللّطيفة.

"أهلًا و سهلًا "، تفضلي، تفضلي، تعالي واجلسي بجانبي ياجارتي.

جلست سلمى والفرحُ يختلطُ بالحزنِ في عيّنيّها وهي تقول: مُباركٌ يا فاطمة، أرجو من اللّه ِ أن يحفظها لكِ و يجعلها من الصالحات.

قالت فاطمة : افتحي ذراعيك لأضعَ في حجركِ طفلتي جُلنار .

آه ياسلمى، إنّك جارةٌ غاليةٌ على قلبي ولن تكتملَ فرحتي إلا بأن أقرّ عيني بطفلكِ الّذي باتَ قدومهُ قريبًا إن شاءَ اللّه - هكذا يخبِرُني قلبي- .

ذرفتْ سلمى دموعًا غزيرةً كالشلال وتنهدتْ بشهيقٍ عميقٍ أشعلَ جمراتِ الحُزنِ بداخلِها؛ فأحرقَ ما تبقى

مِنها وأخرجَ زفيرًا كرياحِ قيّظٍ تحرقُ دونَ نار .

نظرت سلمى لوجهِ الطِّفلة ونست ألمها الّذي يُذكرُها باختلا فِها عن سائرِ الأ ُمّهات.

قالت سلمى : ماشاء اللّه.

لم أرَ فتاةً بهذا الجمال من قبل.

قبّلتها مِرارًا وتِكرارًا دونَ مللٍ وجعلت تشتمُّ رائحةَ الطّفولة فيها وتحضنها وكأنّها من رحمها خرجت .

دعت لها بالتوفيق والسعادة وقالت: لقد أحببتُك كثيرًا يا صغيرتي، أتمنى لكِ كلّ الخير .

حملتها بين يديها المرتجفتين وأعادتها لأمّها ثم أرادت الجلوس؛ فداهمها الدُّوار على حينِ غِرةٍ فسقطت وتوسّدت ا لأرض دونَ أن تقوى على التماسكِ أو الصمود.

فزِعت فاطمة وخافت حتّى باتَ لوّن وجهها كليمونةِ صفراء.

وجعلت تنادي عليها وتقول : سلمى سلمى .

رشّت على وجهها ماءَ الورد وأسرت بكفّها الّتي تحملُ رائحةَ جُلّنار على رأسِ سلمى وهي تُردِّدُ آيات القرآنِ وتُناجي ربّها

بأنْ يُشافي سلمى ويفرحها.

فتحت سلمى عيّنيّها مُرهقة الجفون مبلّلة الأهداب وقالت بصوتٍ خافت : لاتقلقي يا فاطمة أنا بخير ، الحمدلله .

نهضت وهي تعارك الأرض لتستقيمَ ساقيها وتقول: يارب، بسمِ اللّه، توكلتُ على اللّه.

ذهبت سلمى للبيت بعد إلحاحِ أمّ جُلّنار عليها بالبقاء حتّى تستعيدَ قِواها لكنّ سلمى آثرتْ الرّحيل لبيتها.

دخلت لبيتها الّذي يشتاقُ لصراخِ طفلٍ فيه واستلقت على سريرها ونامت دون تخطيطٍ أو مُحاولة .

نامت بعمق، كما لم تنمْ من قبل .

في الصباحِ الباكرِ، جاء زوجُها خالد ودخل البيت بهدوء و التّعبُ يأكلُ جسدهُ بيّنما النّوم يناديه وهو يقف على قدميه .

لم يشأ أن يوقظ زوجته أو أن يزعِجها.

تسلّل ببطءٍ وخفةٍ كلصٍ مُحترفٍ يسرقُ الصّوت والصّدى كي لا يُهددَ نومَ حبيبتهِ سلمى .

نام بجانبها كطفلٍ يشتاقُ لحضنِ أمِّه ويستدفأُ بأنفاسِها الحنونة .

استيقظتْ سلمى من نوّمها العميق فوجدت زوجها ينامُ بجانِبها فابتسمت وانسلت من السرير برفقٍ لتدعهُ يغطُّ

بنوّمِه بعد أن أتعبهُ العمل.

لقد كان يعملُ ليلًا .

إنّه حارس لصوامعِ الحبوب في القرية وذلك بعد حوادثِ السّرقة المُتكررة التي كانت تقتنصُ أرزاق

الفلاحين والمُزارعين المساكين.

وبما أن خالدًا ذاعَ صيتُه بكونه مثالٌ للأمانةِ والطيبةِ والأخلاق فقد تمّ تعيّنهُ من قبلِ أهلِ القريةِ ليكونَ الحارسَ على أرزاقِهم.

إنّه رجلٌ عريضُ المِنكبين، قويٌ البُنيةِ، أسمرَ البشرة . يمتلكُ عيونَ نسرٍ وهيبةَ أسدٍ وقلبًا شديدًا في الحق ورقيقًا في الحُبِّ .

رُغمَ حبّه الشديد لزوجتهِ سلمى لكنّهُ يحملُ بداخلهِ ألمَ الحِرمان الذي يتأجّجُ فيهِ كلّما رأى طفلًا يمشي مع والدهِ في القرية.

أهلُ القريةِ ككلّ البشر، يهتمونَ بصغائرِ الأمورِ ويسألون دائمًا عن سببِ تأخرِ الزّوجين بالإنجاب.

منهم من يسأل بلسانِ المُحب والآخر بلسانِ الحاقدِ والكاره وآخرون يرمقونهم بنظراتٍ كسهامٍ رؤوسها محمّلة بسمٍ زُعاف يقتلُ قلوبهم المحرومة بصمت .

مابالُ هذا الرجل الفحل الذي يمتلكُ كلّ زمامِ الرجولةِ وصفاتها، هل الحبُّ حقًا يمنعهُ من الزواج بمرأةٍ ولودٍ تنجبُ له كسائرِ النساء؟!

أم هناك أمرًا يخفيهِ عنِ الناس؟!

كانت سلمى لاتخرجُ كثيرًا من بيتها كي لا تسمعَ أو ترى ما يقطّع قلبها دون أن تملكَ حقَ الرّد أو إجابةً تشفي

صدورَ قومٍ لايؤمنون بأنّ اللّه أمرهُ بين الكافِ والنُّون.

في اليومِ التّالي، زادَ شعورُ سلمى بالدوار ولم يأتي وحدهُ بل صحِبَ معهُ الغثيان ليزيدَ الوهنَ وهنًا ويتعبَ جسدها الهزيل .

لاحظ الزّوج أن سلمى ليست على مايُرام؛ فأخذها رغمًا عنها للسيدةِ العجوز "خاتون " .

دخلا لبيتها الطّيني الهرم الذي تفوحُ منهُ رائحةُ الأعشابِ الطبّية والبخور، المُحاط بحديقةٍ صغيرةٍ مزروعةٍ بالأقحوانِ والبابونج والأعشابِ النادرةِ والمعروفة.

خاتون : أدخلا يا ولديّ، هيّا فإنّي أراكم لن تخرجوا من عندي إلا بخبرٍ يرسمُ البسمةً على قلوبكم ووجوهكم ويُحيَ الأملَ فيكم .

خالد: ياجدة، هلّا تكلّمتِ مع زوجتي.

إنّها لا تقتنعُ بأنّها بحاجةٍ للدواءِ والرّاحة، أنظري لوجهها الّذي يخلو من الحياة وجسدها الّذي ينازعُ الدّوار ليتوازن .

ضحكت خاتون وقالت: خيرٌ إن شاء اللّه ياولدي .

لا تقلق، قالت سلمى : أخبريه ياجدّة بإنّي على ما يُرام .

قالت خاتون: نعم إنّها بخير ، قاطعها الحديثَ خالدٌ وقال: لا لا أنت تمزحين كعادتك، أبها مرضٌ ولا تريدي أن تخبريني ياجدتي؟!

نادت خاتون للزوجةِ وتبادلت معها حديثًا مهموسًا في الأ ُذُن .

سؤالٌ يتبعهُ جوابٌ والزّوجُ في حيرةٍ من أمرهِ .

ضحكتْ سلمى ببشرى خاتونٍ لها ثم بكتْ وجهشت بالبكاء وهي تقول: الحمدلله، الحمدلله.

الزّوج مصدومٌ من مزيجِ أفعالِ سلمى .

بكاءٌ وضحكاتُ فرحٍ، ما القصّة؟!

خاتون : هيّا ياخالد خُذ زوجتَك واعتني بها جيدًا ولا تقلق، فإنّها تحملُ في أحشائِها وليّ عهدِكم .

صرخَ خالدٌ بصوتٍ مُبلّل بالصدمةِ والذّهول والفرحِ والدّموعُ تجري من عينّيه.

هل حقًا ماقلتِ ياجدة ؟!

سأصبحُ أبًا، يا اللّه يا اللّه .

أفرغَ كلّ مافي جيبهِ وأعطاهُ للجدةِ وذهبَ وهو يحملُ زوجتهُ طولَ الطّريق و أهلُ القريةِ يتهامسونَ كالعادة.

وصلا البيت وكأنّهما يطيران بدونِ أجنحة.

سلمى تبكي وخالد يبكي وكلٌ منهما يمسحُ دموعَ الآخر ويضمّه كمسافرٍ عاشَ بغربةٍ وجاءَ ليحضنَ وطنهُ بعد قُراقِ السِّنين .

مرّت الأيام والليالي وعلِم الجميع بحملِ سلمى

وصُدِموا.

الجارةُ فاطمة فرحت كثيرًا بالخبرِ وكانت في كلّ يومٍ تذهبُ مع ابنتها لزيارةِ سلمى وتطمئِنُ عليها.

سلمى لم تنسى أنّ جُلنار ، تلكَ الفتاة المميّزة كانت وجهَ خيرٍ عليها وأحبّتها حُبًّا جمًّا .

كُلّما أتت مع أمّها تداعبها وتلعب معها وتهديها الألعاب .

لقد صنعت لها أرجوحةً حبالها مزيّنةً بالوردِ وربطتها على غصنٍ متينٍ من شجرةِ التّوت حتّى تضمنَ للطفلةِ المرحَ والأمان، لقد تعلّق قلبُها بجُلنار فهي ابنةُ جارتِها الصديقةُ الوفية.

يتكوّر اللّيل على النّهار وبطنُ سلمى يكبرُ ويتكوّر وحملُها يُثقلُها أكثرَ فأكثر .

فاطمةٌ كانت قلقة على سلمى؛ فبطنُها كبيرة ًجدًا ولا تشبهُ بطونَ الحوامل .

و نساءُ القريةِ كلّما مرّت سلمى بجانبِ إحداهن يسألنها، مابالُ بطنكِ ياسلمى؟!

لِما هي كبيرةٌ جدًا ؟

لم تملكَ المسكينةٌ أيّ إجابةٍ .

حانَ الوقتُ وجنّ اللّيل وصحبَ معهُ آلامًا مُبرحة تغزو جسدَ سلمى الهزيل .

سلمى تصرخُ وتعاركُ المخاضَ العسير وزوجُها بعيدًا

عنها .

سلمى : فاطِمة، فاطِمة

أغيثيني يافاطمة؛ فزوجي ليس في البيت .

سمِعت فاطمةٌ صوتَ جارتها فهرعت بسرعةٍ وأخذت ابنتها معها.

فاطمة: لاتخافي يا عزيزتي، إنّها آلامُ المخاض.

سأضعُ جُلنار بجانبكِ وأذهبُ لأجلِبَ العجوز "خاتون" إصبري وصابري .

ركضت فاطمة والقنديلُ بيدها ينيرُ الطّريق الموحل الزّلق أمامها، كانت تتعثرُ وتقاومُ السقوط لتصلَ بسرعةٍ لبابِ خاتون.

وصلت وأنفاسها مُنقطعة ونادت للجدةِ الأرملةِ فلم تُجب .

كانت نائمةً وسمعها قد أكلَ منهُ التقدمُ بالعمر .

ظلّت فاطمة تطرقُ البابَ بقوّة مرارًا وتكرارًا وتنادي حتّى استيقظت الجدة .

خاتون : مابالك يافاطمة، أين جُلنار؟

هل أصابَكم مكروه؟!

فاطمة: هيّا ياسيدتي بسرعة تعالي معي.

سلمى في مخاضِها تُصارع الألمَ .

خاتون : ماذا؟ أأنتِ مُتأكدة؟

إنّها لم تُكمل التِّسعةَ شهورٍ بعد .

هيّا أعطني مِنسأتي والقنديلَ لِنذهب .

فاطمة : اِجلبي كيسكِ يا سيدتي .

خاتون: الذّاكرة تغادرني أحيانًا، إنّه العمرُ يا ابنتي .

قلبُ فاطمة يتجزّأ بين سلمى وجُلنار والجدةُ تكادُ تحبي من تعبِ الطّريق .

سلمى تبكي وتنادي بالعونِ وجُلنار تحدّقُ بها بحزنٍ وكأنّها ترى المخاضَ رجلًا من نار يلسعُ جوارحَ سلمى فتختلجُ وتصرُخ.

حبت الطِفلة لجانب سلمى وأمسكت يدها بقوّة محاربٍ جلدٍ جعل من سلمى تمثالًا لايقوى على النُطق أو الحراك من الصدمة .

لقد امتصت الألم وسكبتهُ على وسادةٍ بقربها فاحترقت وباتت دُخانًا .

كأنّ سلمى خرجت من الموقف هذا وابقت جسدها ليلد دونَ أن تشعر .

خرجَ من رحمِها طفلٌ سمين أسمرُ اللّون كأبيهِ وبعده بدقيقةٍ خرجت طفلةٌ شقراءَ جميلة اختبأت في حجرِ أخيها الّذي كان نورها في عتمةِ الأحشاء .

سلمى عادت لجسدِها الّذي هزمَ المخاض والألم واحتضنت طفليها بينما جُلنار تمسكُ بثوبها المُبلل

بالعرقِ والدّم.

داهمَ النومُ تلك المسكينة فلم تقاومهُ وأسدلت جفنيها كستارةٍ نزلت بنهايةِ مسرحيةٍ صاخبة .

وصلتْ فاطمة مع العجوزِ فوجدت مشهدًا يندى لهُ جبينُ الدّهول وتتيهُ بهِ العقول عن أفئِدَتِها .

قالت فاطمة وخاتون بفمٍ واحد : ما هذا ؟!

لقد تأخرنا عن استقبالِ الضيوف الجُدُد .

ذهبَ الرّوع عنهما وذابَ الجُمود الّذي خلّفته الصدمتان .

خاتون لفاطمة: هيّا يا ابنتي، علينا تهيئة التّوأم وتنظيفهما قبل أن يمسّهما البردُ بسوء .

أحضرت فاطمة إبريقَ الماءِ السّاخن الّذي يعلو المِدفأة بعد أن وجدت جُلّنار نائمةً أيضًا، وكأنّ النومَ غزا جفونَ الجميع كوباءٍ مُعدي، نظّفت السيدةُ فاطمة التوّأم وألبستهم ثيابهم وناموا بعمقٍ بجانبِ سلمى .

خاتون : سنبقى اللّيلة بجانبِها حتّى يأتي زوجُها.

فاطمة: بالطّبع ياسيدتي .

في صباحِ اليوم التّالي أتى خالدٌ والتّعب والسهر قد أكلا جسدهُ كالعادة.

فتح الباب وهو ينادي سلمى بصوتٍ مُنخفض كأنّه يقول لها :
إن كنتِ نائمة فلا تردي على ندائي، وإن كنتِ مُستيقظة
فاوضعي عنّي الهموم بصوتكِ الدّافئ .
صوتُ سلمى تغيّر !

خالد: من هنا ؟!

أمُّ جُلنار : أنا فاطمة، جارتُكم .

أدخل بهدوءٍ فسلمى والأولاد والجدة نائمون.

لم ينطق خالد ببنةِ شفة غيرَ أنّه حدّق بسلمى والتوأم حتّى توسعت الحدقة وكادت تنفجر .

استيقظت خاتون وأشارت لهم بأن يخرجوا للغرفة الأخرى .

خاتون: تعالَ ياولدي واجلس بجانبِ الجدة .

أرأيتَ كم عطاءُ اللّه ِ سخيٌّ وكريم، كنت تحلم بولدٍ فوهبك اللّه ُ ولدًا وفتاةً.

خالد: يبكي ويحاول أن يُمسك دموعهُ فتغدرهُ وتنهمر وكأنّها كانت تحمل دموعَ البشريةِ جمعاء.

تبلّلت لحيتهُ وهو يحاولُ الصّمود أمامَ الفرح العارم الّذي يحملهُ عن الأرض كريشةٍ لا وزن لها تطيرُ كلّما هبّت نسماتُ توأمهِ الجميل .

فاطمة : يا خالد، هيّا ودعك مِما أنت فيهِ وأخبرني ماذا

ستسمي التّوأم.

خالد: سأسمي الصّبي "بيدق" والفتاة ستسمّيها أمّها حتمًا، هذا عهدٌ قديمٌ بيني وبين سلمى .

قالت فاطمة : اسمٌ عميقٌ وجميلٌ .

أتمنى لهم حياةً سعيدةً برفقتِكَ ورفقةِ سلمى، هيّا يا جدة فلنذهب، لقد أدّينا الأمانة .

خالد : شكرًا لكم على كلّ ما صنعتموهُ لنا فأنتم نِعم الجيران والأهل، رافقتكمُ السلامة .

أوصلت فاطمة الجدة لبيتِها واطمأنّت عليها ثم عادت لبيتها تحملُ جُلنار كأنّها بدرٌ ينيرُ حجرَ أمّها رُغمَ بزوغِ الشّمس ووضحِ النّهار .

فتحت فاطمة الباب وكأنّها فتحتْ صنبورَ ماءٍ من عيّنيّها ولم تعُد قادرةً على إقافلِهِ .

وجدت بيتًا باردًا لا يحوي بأركانهِ سِوى الذّكرى .

حاورت نفسها وجُلنار تسكنُ بيّن الصّوتِ والصّدى لكنّ فاطمة لم تستطع أن تكتمَ الحديثَ بصدرِها بعد أن صُهرت الأقفاصُ بقلبها وتحرّر الحِوار، إنّها نارُ الشّوقِ للحبيب .

ضمّت ابنتها لصدرِها الّذي يبدو كمدفأةِ شتاءٍ مُستعرةٍ وقالت: آهٍ يابنتي، مضى عامٌ على غيابِ والدِكِ "جبل" وكلّ يومٍ يمضي يقضِمُ منّي قضمةً، حتّى بِتُ أخافُ أن لايبقى منّي

جُزءٌ يستقبلهُ إن عادَ مِن سفرهِ الّذي طال .

نظرت جُلنار لأمّها بنظرةٍ تلمعُ بالأملِ وقالت: بابا لأوّلِ مرّةٍ .

بكت الأمُ فوّق بكائِها بُكاءًا حتّى نفدت دموعُها وحرقتها

جمرةُ القُراق والغُربةِ ببيتٍ من طينٍ بِلا روحٍ أو سند .

فاطمة: أين أنت ياجبل؟!

لِما أطلتَ الغيابَ ياحبيبي؟

اشتقتُ لرائحةِ كفّيك الدافئتين، اشتقتُ لنظراتِك الّتي تُحي فيني أسرابَ العِشقِ مع كلّ حُضنٍ تأويني إليهِ.

أشتاقُ لنزاعاتِنا الّتي تنتهي بقبلةٍ على الجبين وبسمةِ عتابٍ وحُبٍّ .

ألم تسأل نفسك ماذا حلّ بي؟ وماذا أنجبت لكَ ؟!

آه يازوجي، ماذا تأكل ياتُرى وماذا تشرب وأين تُلقي تعبك في آخرِ النّهار؟!

في كلّ ليلةٍ منذُ غيابِ "جبل" وفاطمة تكرّر ذاتَ الحوار ولا تسأم وكأنّها تتلوهُ على جُلنار كي تحفظه ولا تنساه أبدًا .

نامت الأمُ وابنتها تداعبُ شعرها وتلقي بلمساتها النّاعمة على وجهها المبلولِ بدموعٍ مُغادرة تتركُ ذرّات الملحِ كشاطئٍ رمل دون أمواج، كانت ليلةً باردة تُعلن قدوم الشّتاء دون أحباب .

منذ عقدٍ ونيّف انبثقت قصةٌ حبٍّ من طرفٍ واحدٍ بيّن فاطمة وجبل لكنّها انتهت بزواجهما رُغم الحلقة المفقودة في سلسلةِ الحُبّ .

فاطمة ابنة عائلةٍ ثرية، ولديها أبوين حنونين وأخوة

يحبونها كونها آخر حبّة عنب في عنقودِ العائلة.

تعيش في بيتٍ كبير وتمتلكُ مجوهراتٍ تتمنى كلُّ فتاةٍ في القرية اقتنائها .

وكعادتها في كلّ صباح تذهبُ للحقول وتأخذ معها ما لذّ وطاب من المأكل والمشرب وتصحبُ معها صديقاتها اللواتي يمشين خلفها و يُجارينها بكلّ كلمة لكسبِ الود والتّقرب منها أكثر بسبب رائحةِ الثّراء الّتي تفوحُ من ملابسها الفاخرة ومجوهراتِها الثّمينة.

جلست فاطمة كغريبٍ يسكنُ وطنه .

وحيدة رُغم الضّجيج الّذي حوّلها، كانت تعلمُ بأنّ المال هو مايجعلُ الأصدقاء حوّلها وليس المحبة .

كانت حزينةً وتُسِرُّ حُزنها وتلبسهُ مِعطفَ البسمةِ المُصطنعة.

فاطمة: أبحثُ عن حبٍّ روحٍ وليس حبّ مالٍ وجسد، ماذا أفعلُ يا إلهي؟

أشعرُ بأنّي لستُ بخير .

تركت صديقاتها مع مايُفضِلن من متاعِ الحياة وذهبت تتمشى بين أشجارِ الصنوبر، جلست على صخرةٍ منحوتةٍ بإتقان وكأنّها تروي قصةَ فنٍّ عميقٍ تائهٍ بين الأشجار .

بدأت تُحاور أشجارَ الصّنوبر وكأنّها تحاورُ بشرًا وتنتظرُ

الجواب.

صوتها الّذي ظنّتهُ بِلا صدى، إرتدّ لها بجوابٍ يشفي صدّرها .

شعرت فاطمة بالذّعر وظنّت بأنّ الجِنّ يُكلِمُها .

حاولت الهرب واختبأت وراء شجرةٍ معمّرة تنتظرُ ماستؤّلُ إليّه الأمور .

سمعت خطواتٍ ثابتةً ومُنتظمة تقتربُ نحوها رويدًا رويدًا.

أغمضت عيّنيّها وأحسّت بأنفاسٍ دافئةٍ تُلامس وجهها فصرختْ وفتحتْ عيّنيّها و هي ترتعِد خوفًا .

وجدت أمامَها شابًا متوسطَ الطّول عريضَ المِنكبين، ذهبيٌ البشرة، حادَ العيون، يمتلئُ عُنفوانًا وهيبة فاختلطت مشاعرُها بين القلقِ والإعجاب والصّدمة .

إنّه جبل، الشابُ الوسيم قويّ البُنية ورجلُ الصِّعاب الّذي لا يهابُ شيئًا .

جبل : لا تخافي ياسيدتي، لن أُؤذيك .

مرحبا، أنا جبل، ما أسمك؟

فاطمة : أنا فاطمة، أُعذرني ياجبل فقد كنتُ أتأملُ الطّبيعة وأفكرُ بصوّتٍ عالي وعندما سمعتُ صوّتك فزِعتُ ولم أعلم ماذا أفعل! .

جبل : لا عليكِ، المُهم أنّك بخير .

هيّا بنا لنذهب فالشمسُ أوشكت على المغيب، سأوصلك لمنزلك.

فاطمة : أريدُ الذّهاب للحقولِ المُجاورة، صديقاتي ينتظِرنني.

جبل : هيّا بِنا .

وصلت فاطمة لكنّها لم تجد سِوى بقايا الطّعام والشراب فحزِنت وبكت بصمّتٍ، لكنّ جبلا ً تجاهلَ ماحدث كي لا يُحرِجها بالسّؤال عمّا حدث رُغم أنّه أحسّ بما جرى مع فاطمة.

أوصلها للبيت وذهب لمنزلهِ المُتواضع الّذي يسكنُ فيه لوحدهِ بعد وفاةِ والديهِ وزواجِ أُختهُ الوحيدة .

ظلّ جبل طِوال اللّيل يفكرُ بفاطمة وحديثها مع الصّنوبر وبكائها وبيتها الّذي فاجأهُ حقًّا .

ظنّ جبل بأنّها فتاةٌ بسيطة مثلهُ عندما لمسَ قلبُها الرّقيق الّذي يفكّر بجبل منذُ النّظرة الأولى عندما تناسجت عيّنها

بعيّنه .

بدأت ملامح الحبِّ تظهرُ بينهما دونَ أن يُفصحا بذلك .

لكن حبّ جبل كان فاترًا بينما فاطمة عشِقتهُ بِكلِّها.

تبادلا النّظرات طويلا ً ثمّ تحادثا طويلا ً ومضت الأيّامُ حتّى تجرّأ جبل على خِطبَتها من أبيها لكنّ الأبّ كان يعتقد بأنّه ليس أهلًا لابنتهِ بسببِ فقرهِ وقلّة حيلتِه .

فاطمة شعرت بالقهر ومرِضت وذابَ جسدها يومًا بعد يوم، مِما دفع بأبيها أن يفكّر بالموضوع مليًّا لحبِّهِ الشديدِ لمُدللته الصّغيرة .

وأخيرًا حلّت الفرحة ديارَ الأحبة ووافق الأبّ على الزّواج بشروطه.

وهكذا تزوجت فاطمة من حبيبها بعد أن تعهّد جبلٌ بتأمينِ حياةٍ كريمةٍ لها وتوقيعِ عهدٍ سرّيٍ بينهُ وبين السّيد "بهاء " .

لم تكن فاطمة تزورُ أبويها كثيرًا بسبب بُعد المسافات ومسؤوليةِ الزّواج الكبيرة.

ومع مرورِ الأيّام ذهبت لزيارةِ أهلها فوجدتْ بيتهم يخلو من الدّفئ المعهود بعد زواج أخوتها ومرضِ أمّها الّذي أفقدها القُدرة على إنارةِ البيت بلمساتِها كما كانت تفعلُ من قبل.

بقيت فاطمة عند أمّها تعتني بها حتّى ماتت و وريت الثّرى وبقي أبيها يعيشُ وحيدًا دون زوجةٍ أو أولاد.

فاطمةٌ ابنةٌ بارّة لم تترك أبيها رُغم المسؤولية الكبيرة الّتي على عاتقها وظلّت ترعاهُ وتهتمُ بشؤونهِ حتّى ذهب للعالمِ الآ خر ونامَ بجانبِ السيدة" رُقية" أُمُ فاطمة .

مرّت فاطمة بظروفٍ صعبة وأيامٍ عصيبة جعلت روحها تهرمُ رُغم صِغرِ سنّها وجبل كان بجانبها يسندُ ضعفها

كلّما كادت أن تسقط عزيمتها.

جبل: حبيبتي فاطمة، ما رأيك أن نُسافر إلى قريةِ "الجِمار" الجبلية .

سمعتُ عنها الكثير، يقولون أنّها قريةٌ خيرٍ ورزقٍ وفير و سُكانها يعملون بالزراعة ويحتاجون عمالًا للحصاد والحِراثة و الفِلاحة، وأنا أُحبُ أعمالَ الحقل والتِّجارة ولعلّي أجمعُ مبلغًا من المال وأشتري الحبوب وأُتاجر بها بين القُرى .

مارأيُك ياحبيبتي ؟!

جمعا مالديّهما من مالٍ وأمتعةٍ وسافرا بعد وداعِ الأهلِ والأ حبّة وأطيافَ الّذين رحلوا.

وودعت فاطمة كلّ ركنٍ في القرية وكلّ شجرة وزهرة وكأنّها لن تعود مُجددًا.

وهكذا انطلقا بأملِ الحياةِ الجديدةِ وسلكا الطّريق بعزمٍ وفرحٍ يرسُمُ الحُلُم المُنتظر .

وبعد عناءِ السّفر الطّويل الّذي استمر ثلاثةَ أيّامٍ ولياليها وصلا أخيرًا .

أخرج الزّوج مِفتاحًا من جيبهِ وفتحَ منزلا ً طينيًّا متواضعًا وقال: تفضّلي ياحبيبتي هذا منزلُنا.

تفاجأت فاطمة فقاطعها جبل عندما حاولت الكلام وقال: أترينَ البيت الّذي يُجاورنا!

إنّه بيتُ صديقي خالد، لقد زارني منذُ مُدّة ورتبنا الأمر سويًّا .

أشتريتُ هذا البيت المتواضع بعد أن بِعتُ بيتنا القديم بِالمُقابل ريثما نستقرّ ونضع عنّا أعباءَ السفر ونرتبَ أمورَنا كما اتّفقنا.

ولاتقلقي بشأنِ البيت سأعملُ بجدٍ كي أبني لكِ أجملَ بيتٍ تُريدينه يا زوجتي الغالية .

فاطمة : حسنًا يا قلبي كما تريد .

وهُنا "بدأتِ الحكاية" .

عمِلَ جبل بالزّراعة واهتمّ بزراعةِ الخُضار والزُهور وبعضَ الأشجارِ المُثمرة بحديقةِ منزلهِ، وقام بترميمِ المنزل وشراءِ الأغراضِ الّلازمة.

وبيّنما زوجتهُ كانت تُساعدهُ بما تقدِرَ عليّه.

وهكذا مرّت الأيّام والشُهور بسرعة بيّن العملِ والرّاحة.

كانت فاطمة قد تعرّفت على الجارةِ "سلمى" وكوّنت معها رابطةَ صداقةٍ قويةٍ وكأنّها صديقةَ الطُفولة .

سلمى تصنعُ الحلويات فتطعمُ جارتها وفاطمة تطبخُ الطّعامَ اللّذيذ فتتذكرُ سلمى.

و أهلُ القرية كانوا زمرًا مُختلفة عن بعضهم فمنهم من يحبُ التّعرف والتّواصل و منهم من ينغلقُ على نفسه ولا يحبُ الجوار .

بعد أن لبثَ الزّوجين في القريةِ ما لبثوا ونالَ جبل ما أراد وجمعَ نُقودًا كافية للتجارة؛ قرّر السّفر .

جبل : ضعي الطّعام على الطاولة يافاطمة و تعالي .

سأُحدثك قليلا ً، تعالي .

فاطمة : مابالُك ياجبل، أقلقتني، عيونُك تبوحُ بما يُسِرُهُ قلبُك ولا ينطِقهُ لسانُك .

جبل : بصراحة، لقد منّ اللّه علينا برزقٍ وافر و وهبنا ماتحملينَ في أحشائِك .

لذا قررتُ السّفر للتجارةِ كما كنتُ أحلُم منذُ سنين، ألا تذكّرين ؟!

فاطمة : لقد قُلتَها بفمكَ يا زوجي .

سيأتي طفلنا قريبًا ولدينا مايكفينا ويكفيهِ فلما تسافر وتتركني وحيدةً .

ألا تخشى أن أضعَ طفلنا ولستَ معي .

إن كُنت لاتخاف عليّ فأنا أخافُ عليك ولا أريدُ أن تُفارقني أبدًا .

بدأت بالبكاء وذرفِ الدُموع وجبل يُراضيها من جهةٍ ويقنعها بالفكرةِ من جهةٍ أُخرى .

بقيا على هذه الحال بِضعةَ أيّام حتّى اقتنعت الزّوجة بعد عناء جبل .

تكفّل الجار وزوجته بفاطمة بعد أن طلبَ منهم جبل

ذلك ووعداهُ بأن يكونا لها الأهلَ والسّند .

حانت لحظةُ الفُراق الأليمة وبدأت دموعُ فاطمة تنهمرُ وزوجها يحضُنُها و يُشبِعُ قلبُهُ من طيبها وعيونها ووجهها الذّابل .

فاطمة : لقد صببّت قلبي بأقداح ٍمن صلصالٍ محروقٍ بنار ِالفُراقِ والغُربة.

صهرَت ثناياهُ بموقدٍ عتيقٍ وأشربتها للسطورِ ورششت عليها من توابلِ القهرِ وملحِ الدّموع .

أطفأت قصائدَ الماضي برحيلك .

لا أريدُ مفاتِح المَلكوت وعرشَ التميُّزِ بيّن الأقران، اريدُ مفتاحَ المحبّةِ والسكينةِ، مفتاحَ الأملِ بالعودةِ من جديد، مفتاحًا يفتحُ روضَ الصّلاحِ ليرسمُنا قمرًا لا ينكسرُ بالبُعدِ .

لقد ألقيت تعويذةَ الخوف ونثرتها على نوافذِني حتّى باتتْ ا لأطيافُ ترتادُني من جديد وتمزّقُ ماتبقى مِني بعد أن بعثَت الحياةَ بطرقي رُغمَ تشظّي روحي ببعدك .

ذهب الحبيبُ يجولُ بعيدًا عن حبيبتهِ.

مرّت الشّهور وأنجبت فاطمة وكبُرت جُلنُار ونطقت وحبَت ولم يأتِ الزّوج المُسافر .

كانت فاطمة في كلّ ليلةٍ تجلسُ وتحكي لجُلنار كلّ

مافي قلبها رغم أنّها طفلةٌ صغيرةٌ.

فاطمة : لقد أتعبني الانتظار يا ابنتي ولا أدري ماذا أفعل!

أأذهبُ وأبحثُ عنه، أين سأجدهُ ومن أين سأبدأ؟

وكيف سنسافرُ لوحدنا.

يبدو أن لا خيارَ سِوى الانتظار يا جُلنار .

كان جبل يجوبُ القُرى ويسلكُ الطّرق الوعرة بعربتهِ المُحمّلة بالحبوب .

لقد باعَ معظمَ تجارتِه وكسبَ المال وقرّر العودةَ للقرية بعد إكمالِ بيعِ باقي الحبوب.

وصلَ لقريةٍ مُجاورة لوادي العجائب وتوقّف قليلا ً.

نظر للقرية وسأل نفسهُ إن كان رآها من قبل ؟

لم يَملُك جوابًا أكيدًا فخطرَ بباله أن يدخل للقريةِ ويستريحَ من عناءِ السّفر ولعلّه يبيعُ ماتبقى من البِضاعة.

دخل القرية فوجدَ بيوتًا صغيرةً مبنية من الحجرِ الأسود وأبوابُها من حديد .

أشجارُ القرية هرِمة ومُتشقِقةَ الأغصان، لا زهورَ تُزيّنُها ولا رِداءً أخضرَ يكسوها.

شعر بغرابةِ القرية لأنّها بدت خاويةً على عُرُوشِها .

اقتربَ قليلا ً فوجد بيتًا كبيرًا لهُ بوّابة ضخمة ومقبضٌ أحمرَ كالدّم.

ظنّ أنّه بيتُ كبيرِ القرية ووجيهها فقرّر أن يقترب من الباب ويُنادي على أصحابِ البيت .

وكلّما همّ بطرقِ الباب؛ يرتجِفُ قلبُه رغمَ قوّتهِ فتُسيطرُ عليهِ طاقةٌ غريبة تجبرهُ على التّقدم رُغمَ خُطاهُ

المُتراجِعة.

نادى بأعلى صوتّه، يا أهلَ الدّار، هل من أحدٍ هُنا؟!

كرّر النِّداء ثُم أدارَ ظهرهُ وعزمَ الرّحيل، وفي نفس اللّحظة، فُتحَ الباب وخرج منهُ صوّت رقيق يُناديه: تعال أيُها الضّيف، أهلا ً وسهلا ً .

نظرَ خلفهُ فوجد البيتَ الكبيرَ قد تحوّل لمنجمٍ فحمٍ تفوحُ منهُ رائحةٌ حريقٍ وتنبعثُ منهُ حرارةٌ دون وجودِ شُعلةِ نارٍ واحدة .

ترتبك جبل وبدأ يعيشُ صِراعًا بين سطوةِ الجمال وخيانةِ العيون وسِجِلات الذّاكرة.

أمامهُ امرأةٌ حسناءَ تحملُ وجهَ القمر، إنّها مخلوقةٌ من جناحِ ملاكٍ من نور سقطَ من السّماء ليرسمَ الجمال بملامحِ فتاةٍ حوراءَ جذّابة .

تجمّد الدّمُ بعروقهِ وتوسّعت أحداقهُ وفتحَ فمهُ مذهولا ً من المشهد .

اقتربت منهُ ومدّت يدها لتمسكَ بيدهِ وتبعثرَ الأسئلة العائِمة في بحرِ عيّنيّه

ما إن أمسكت بيدهِ وقبّلتهُ حتّى خارتْ قِواهُ وسقطَ على الأ رضِ كنخلةٍ كانت تُعانقُ السّحاب فعانقتها الأرض.

غطّ في نومٍ عميقٍ بعد أن باتَ سجينًا في مملكةِ العجائبِ ومُحاطًا بسحرِ "شانجيزاروا" .

كانت فاطمة تجبرُ كسرها كلّ يوم وتُعزي نفسها بأملِ عودتهِ بيومٍ أو ليلةٍ .

لقد أصبح أهلُ القرية يتبادلونَ الشائِعات.

منهم من يُرجِّحُ موّته ومنهم من يقولُ إنّه تزوّجَ بغيرها وهجرها وآخرون يصمِتون لتبوحَ أعيُنهم بما لا يُقال بينما خالدٌ وزوجتهُ كانا على العهدِ ويحفظان الأمانة .

يزرعانِ الأملَ ويُكفكِفان الدّموع.

كانت سلمى تجمعُ نساءَ القريةِ وتحثّهن على مواساةِ جارتِها والتّرويحِ عنها .

يذهبنَ معها للحقلِ والتّنزه ويتسامرنَ و يُداعِبن جُلّنار ويدعنها تمرحُ مع أقرانها من الأطفالِ رُغم مُلازمةِ التّوأمِ الدّائِمة لها .

مرّت السنون والشهور ولم يتبدل سوا لونُ الشّعر الذي كان ليلا ً فبات نهارًا .

الشبابُ غزاهمُ الشيب بينما الأطفالُ باتوا شبابًا

أرواحُ العُشّاق هرمت و وقفت على مشارفِ الموت .

والجارُ للجارِ وإن الزمانُ جار.

مازالَ خالدٌ يتأمّل عودة صديقه ويحثُ زوجته للبقاءِ على

العهد رُغم أنّها لا تحتاجُ توصية.

فسلمى امرأةً أصيلةً وتعرفُ حقّ الجار وترعى العُهود.

صنعت من أولادها طوّقًا يحوّط جُلنار ويحميها وكأنّهم من رحمٍ واحدة .

لم تكن تعلم بأنّها تمتلكُ قوّة وطاقة كبيرة تختزنها كحلقةِ نورٍ تضيءُ دروبَ الأحباب وسرعان ما تتحوّل لنارٍ تحرق الظّالمين ولا تدعهم حتّى يُصبحوا رمادًا .

لقد محت الأعوام ذِكرى جبل في القرية ونسيَ أهلُها السُؤال عنهُ .

فكلٌ منهم مشغولٌ بأولادهِ وأعمالِه وأفراحِهِ وأتراحهِ .

فليست كلُ القلوبِ عاشقة أو صديقة .

سمعت فاطمة صوّت طرقٍ الباب فاتتفضتْ وتعثّرت ثُمّ وقعت.

ركضت جُلنار وساعدت أمّها على الوقوف وفتحت الباب.

انهارت الأمّ والخيبةُ تجري بملامحِ وجهها .

جُلنار: مابكِ يا أمّي ؟

هذه الجدةُ " خاتون "ومعها جارتنا سلمى وابنتها "وتين"

"تفضّلوا "

خاتون: سقطت لأنّها كانت تظنُّ جبلا ً وراء الباب،

فوجدتنا .

فاطمة : لا عليكِ يا جدة

تفضّلي، أهلًا بكم .

لكن أيّن بيدق لا أراهُ معكم ؟!

أعتدتُ أن أراهُ مع أختِهِ وتين .

سلمى : ذهبَ ليُساعد أبيه في بعض الأعمال .

خاتون: لقد أفلتَ منّي هذا الشقيّ، كنتُ سألقنهُ درسًا لن ينساهُ بِعُكازتي هذه .

ظنّ نفسه رجلًا ونسي زيارة الجدة .

أمسكت بعكازتِها ووكزت جُلنار ووتين فركضا وهُما يضحكانِ ويقولان سنزورك ِ ياجدة، سنزورك ِحتّمًا، العفو يا جدة .

ضحكَ الجميع وعمّ الفرحَ بالأرجاء .

لقد طال الحديثُ وتبادلن الضّحكات والمُزاح حتّى المغيب .

خاتون: هيّا يا سلمى ساعديني للذهاب إلى البيت .

جُلنار : لا لن أدعكِ اللّيلة، ستنامين عِندنا .

خاتون: أنامُ عِندكم بشرط .

جُلنار :ما شرطُكِ ياعزيزتي؟

الجدة: سنقومُ أنا وأنت ببعضِ الأعمال في الصباح الباكر .

هاا، ما رأيُكِ ؟

جُلنار : أنا موافقة .

نظرَ الجميع إليّهما بنظرةِ استغراب فقالت الجدة: لاتنظروا إليّ هكذا، لن أُخبركم بشيء.

إنّه سرٌ سيمحوهُ الصّباح وتعلمونهُ جميعكم.

سلمى : إذًا سنذهبُ وننام باكرًا لنعرفَ السِّر .

هيّا يا ابنتي، تُصبِحون على خير.

فاطمة : رافقتكمُ السّلامة.

تهامستِ الفتيات وأردن أن يُطِلن الحديث فنادتهنّ أمَهاتِهنّ وذهبت كلٌ منهن لأمّها .

خاتون: هيّا يا فاطمة اخلعي عنّك ثوبَ الحزن فجبلٌ بخيرٍ إن شاءَ الله.

لا تقلقي عليه، سيأتي إليكِ وإن طالَ غيابهُ .

جُلنار : قلبي يُخبرني بأنّ أبي بخير .

فاطمة: لعلّي أُكحلُ أعيُني بطلّته قبل أن أوارى الثّرى.

جُلنار: لا تتحدثي عن الفُراق يا أمّي فأنا لا أحتملُ بُعدَكِ وبُعدَ أبي .

خاتون : قِرّي عينًا ياحبيبتي فلن يُصيبُهما مكروه .

هيّا بِنا لنخلدَ للنوم .

أطفأت جُلنار القناديل وقنديلُ عيّنيّها لا ينطفئ.

لقد غرقت بطوفانِ الأسئلة التي تُراودُها كلّ ليلةٍ

وتعارت من اللّيل بيّنما أمّها والجدة ينامان بعد عِراكٍ مع ذات الأسئلة .

في الصّباح الباكر مع بزوغِ الفجرِ الصادق وقبل أن تستيقظَ الشّمس وتُلقي بنورِها على جفونِ النّائمين، استيقظت الجدة ونادت بصوتٍ خافت : جُلنار جُلنار، هيّا
استيقظي ياصغيرتي .

جُلنار: صباحُ الخير يا جدتي الغالية .

سأغسلُ وجهي وآتي على عجل .

خرجا من البيت يمشيان على خُطا الجدة الثّقيلة ويتبادلا مفاتِحَ الحديث .

"خاتون" : تعالي ياصغيرتي لنجلس بجانبِ أشجارِ الرُمان الّتي تُحبين ليحلو حديثنا .

كانت قطرات الندى تُزين أوراق الشجر كحُليٍّ معقودةٍ من لؤلؤٍ تُعانِق مِعصمَ الجمال .

الهواءُ نقيّ والسّماء تطلُّ بثوبِها الأزرق المعهود .

تبدأُ الطّيور بأعمالها اليومية وتعزفُ ألحان الصّباح لتجد مايم لأ ُ بُطوتها ويُشبِعُ صِغارها الّتي تنتظرُ الولائم.

جُلنار: ياجدتي، الفضولُ سيقتلني؛ هلّا أفرغتي عليّ مافي صدرك و أرحتني من تزاحمِ الأسئلة في رأسي .

ضحِكتِ الجدة وقالت : اِصبري لتنالي يا وريثتي .

جُلنار : ماذا قُلتي للتوّ؟!

وريثتُكِ؟!

الجدة : نعم ياجُلنار .

كما تعلمين، ليس لي أولاد وزوجي قد وافتهُ المنيّة مُنذُ زمنٍ بعيدٍ وأقاربي كلّهم رحلوا أو ماتوا .

أنتِ ياحبيبتي وريثةُ الجدة .

سأُعلِمُكِ كلّ ما أعرفه عن طبِّ الأعشاب لتستمرين في العلا
جِ من بعدي .

كلّ يوم سنأتي إلى هُنا حيثُ الطّبيعة الخلا ّبة والهُدوء و
الجمال لأعلمك كلّ مداخل ومخارج هذا العلمُ الشاسِع .

جُلنار : سأتعلمُ بقلبي وروحي ياجدتي وأعدُك منذُ الآن بالا
لتزامِ وحُسن الإصغاء والتّعلم .

سأُدوّن كلّ ما أتعلمهُ كي لا يفوتني شيء .

لكن يا مُعلمتي، هل لي بسؤال؟

الجدة: تفضلي .

جُلنار : لماذا لم تتزوجي بعد موتِ زوجك؟

الجدة : آهٍ يا ابنتي، الحبُّ يملؤني ويمنعني.

لقد أخذ برحيلهِ قلبي وترك لي حبّهُ ينبِضُ بصدري ويمنعني
من الزّواج بعده رُغم حُبّي للأطفال.

لكنّ اللّه عوضني بكم، أنتم أولادي كما لو من رحمي
قد جئتم .

جُلنار : أنا أُحِبُكِ كثيرًا ياجدتي .

ضمّت الجدة جُلنار بين ذراعيها وقالت وهي تبكي وأنا كذلك يا غاليتي .

وبعد مرور سنةٍ ونصف ...

أصبحت جُلنار تُمسِكُ بزمامِ الأمور وتعالجُ المرضى وتبتكرُ طُرُقًا جديدةً وعقاقيرَ مُتطورة ساعدت بشفاءِ الأمراضِ العنيدةِ والمُستعصية .

لقد نالت شهرةً واسعة رُغمَ صِغرِ سِنها وذاعَ صيتها بين النّاس ولُقِبت ب" وريثةِ خاتون" .

اطمأنتِ الجدة على تركتِها ووضعت عِلمَها بأيدٍ أمينة واستسلمت لسكراتِ الموت بعد أن تركتْ وصيّتها مكتوبةً على ورقةٍ بجانبِ جسدِها العتيق .

لقد حزِن أهلُ القرية جميعهم وفقدوا كنزَ الحِكمةِ العريق بينما جُلنار تعيشُ في صدمةٍ ووحدةٍ بعد موتِ الجدة رُغمَ إحاطةِ التوأم بها ورعايةِ أُمّها وسلمى لها ونسيت أمرَ الوصية الّتي لم تقرأها بعد .

كانت في كلّ صباح كما اعتادت تذهب للمكانِ الذي يحملُ رائحةَ خاتون بين الحقولِ وتزور قبرها المركون بجانبِ شجرةِ الرّمان .

تحكي لها شوقها وحُبّها وكلّ أمرٍ يعتريها كما لوكانت

تنتظرُ الإجابة .

وعندما تنام تلتقي بخاتون لتتبادلَ معها أطرافَ الحديث وتطوفُ معها بعالمِ البرزخ.

جُلنار تحملُ روحًا شفافة وتجيدُ الفِراسة وترجمة الأعين .

إنّها مزيجٌ من مُقاتلةٍ و قديسةٍ في آنٍ واحدة .

فاطمة : مابالُك يا ابنتي، ألم تخرجي من حزنِك بعد، عليكِ العودةُ للحياة مُجددًا فالجدةُ تركت لكِ أمانةً ثقيلة.

دعيها ترقدُ بسلامٍ و أوفي بعهدكِ الّذي عاهدتِها.

هنُاك مرضى كثيرون ينتظرونكِ لتنزعي براثنَ الوهنِ من أجسادِهم .

هيّا يا ابنتي فكلُنا معك وبجانبكِ هيّا .

جُلنار : سأفعلُ يا أُمّي لكن أريدُ تلك الرسالة الّتي كانت تُعانِقُ جدتي حينَ وافتها المنية.

الأمُ: تفضّلي ياحبيبتي، كنتُ أنتظرُ هذهِ اللّحظة بفارغِ الصّبر، مازالتْ رائحةُ خاتون تلتصقُ بجلدِ الرسالة وتتشربُ السُطور وتنيرُ الحروف كما لوكانت قنديلا ً.

وهذه مِنسأتها أيضًا، أحسّ بدفئِ يديها يتخللُ الخشب .

حافِظي على الأمانةِ يا ابنتي .

إنّ الأمانة عُرضت على السّماء والأرض والجبال فرفضنَ

حملهَا وأشفقنَ منها وحملها الإنسان .

إتّك أهلُها ياحبيبتي، باشري العمل هيّا .

جُلنار: شكرًا يا أمّي.

ثقتكِ وَقودُ عزيمتي، سأكونُ كما أرادتْ جدتي وكما أرشدتني بإذنِ اللّه .

وكالعادة، في الصباحِ الباكر .

ذهبتْ جُلنار لتلتجأ إلى شجرةِ الرّمان وتتذكر كلامَ الجدةِ المُؤنِس .

كانت تحملُ بيمينها الرسالة و تتشوقُ لرؤيةِ الحُروف التي خطّتها الجدة بيدها العريقة .

حانَ الوقت، فتحت الرسالة ودموعها تتساقطُ فوق وجنتيها المُحمرتين كتفاحتينِ حانَ قِطافهما.

لقد كانت فارغة وتبدو كجناحِ حمامةٍ بيضاءَ لاسطورَ فيها ولا كلِمات .

تفاجأت جُلنار وأصبحت في حيرةٍ من أمرها.

لقد جمّدتها الصّدمة وهزّتها الخيبة حتّى أسقطت الورقةَ من يدها دونَ دِراية منها وحملتها الرّيح بين الأغصان المُبللة .

ركضت جُلنار ومازالت الخيبة تستوطِنها لكنّها خافت على رائحةِ الجدة التي تسكنُ الورقة كما تسكنُ الرّوح الجسد .

بحثت عنّها ووجدتها عالقةً بين الأغصان .

صعدتْ وكادت أن تسقط إلا ّ أنّها لم تستسلم حتّى أمسكتْ بها و أحضرتها برفقٍ وتأنّي .

ضمّت الورقة لصدرِها والشوقُ والفرحُ يتصارعانِ داخلها.

رفعتها لمُحاذاةِ الشّمس حتّى تجفّ فتفاجأت مِما رأت .

لقد وجدت حروفًا شفافة تتلامعُ كُلّما دخلت خيوطُ الشّمس بينها وكأنّها تبعثُ الحياة في ظلّ حرف .

ظلّت تحاولُ وترفعها ثم تقرأ حتّى انتهت من الرِسالة وعرفتِ السر وراءَ السُطور المخفية .

كتبت الجدة في نهايةِ الوصية:

حبيبتي جُلنار ستجدينَ حروفي عندما تقرأها لكِ الشّمس.

لقد كتبتُها بحبرِ الليمون لكي تظلّ سِرًا بيننا .

أرجو مِنكِ أن لا تُخبري أحدًا بالوصية .

ذهبت جُلنار لقبرِ خاتون وهي تبكي وتقول: لقد تركتي لي حِملا ً ثقيلا ً ياجدتي .

ذهبت جُلنار للبيت وهي مُتعّبة، مُرهقة، ومُثقلة، كانت طولَ الطّريق تُفكر بما قالتهُ الجدة في وصيّتها وتفنّد وتُصحِح وتقوّم.

وصلت للبيت وجلست في غرفتِها بينما أمّها تُعِدُ الطّعام وتُنادي عليّها :
جُلنار يا ابنتي!

جُلنار : نعم يا أمّي، أنا هُنا .

أمّ جُلنار: أذهبي لبيتِ جارتنا سلمى فالتوّأم كانا يبحثانِ عنك ريثما أُعِدُ الطّعام .

جُلنار :حسنًا، سأذهبُ يا أمّي .

ذهبت لبيتِ سلمى وسلّمت عليّها وجلستْ معَ التّوأم والبوحُ مسجونٌ بعيّنيّها.

وتين : مابكِ يا صديقتي، أرى بعيّنيّكِ كلامًا كثيرًا .

جُلنار : لاشيء، إنّه الإرهاقُ لا أكثر .

نادت سلمى اِبنها وقالت: هيّا ياولدي، خُذِ الطّعام واذهب للحقلِ فوالدُك بانتظارك .

وتين : انتظر يا أخي، سنذهبُ معك .

جُلنار : لقد أتيتُ لأني علمتُ بسؤلِكم عنّي .

لا أستطيع أن أتأخر؛ فأمّي تُعِدُ الطّعام وتنتظرني.

سلمى: حسنًا ياحبيبتي .

هيّا اذهب ياولدي قبلَ أن تتأخرَ على والدك.

ستبقى وتينٌ مع جُلنار .

جُلنار : أعلمُ أنّي مُقصِّرة معكم لكنّ موتَ الجدة آلمني وجعلني أُفضِّلُ الوحدة والعُزلة .

وتين : لا عليكِ يا صديقتي، موتُ الجدة تركَ فينا فراغًا لا يملؤهُ أحدٌ سِواها.

لكن هذهِ سُنّةُ الحياة .

سلمى : هيّا يا صغيراتي أِذهبنَ للحديقةِ الخلفيةِ واجلِبن لي بعض الخُضروات.

ذهبت وتين برفقةِ جُلنار وأنهيا المُهمةَ بنجاح ثم تحدثتا حديثَ البنات المعهود وعادت جُلنار لبيتها بعد أن أفرغت القليلَ من همومها برؤيةِ الأحِبة .

تناولتِ الطّعام مع أمّها وتبادلتا أطرافَ الحديث الّذي قطعتهُ الأم بحلمٍ تذكرتهُ بالأمس .

الأمّ: لقد تذكرتُ شيئاً يا ابنتي .

في اللّيلة المُنصرمة رأيتُ في حُلُمي نارًا عظيمةً تقتربُ مِنا بينما الجدة تبكي تحتَ شجرةِ الرّمان وتحملُ بيدها مِفتاحًا قديمًا .

وكان أبوكِ جبل يجلسُ في قفصٍ كبيرٍ مُكبّل اليدين بسلاسلٍ من ذهب، بينما أنتِ تجمعين الزّهور في الحقلِ وكأن كلّ مايحدثُ أمامكِ لا يعنيك .

ما تأويلُ الحُلُمِ يا ابنتي، فأُمُك قلقةٌ لِما رأت .

جُلنار : لا تقلقي يا أُمّي، أضغاثُ أحلامٍ لا أكثر.

لطالما تشغلين تفكيرَك بأبي وبي وحزنُك على الجدة جعلكِ ترينها أيضًا .

خيرٌ إن شاءَ اللّه، خير .

ارتاحي الآن يا أمّي و اخلُدي للنوم .

سأذهب لصنعِ بعضِ العقاقير في غُرفتي ثمّ أخلد للنوم.

تصبحينَ على خير.

الأمّ: حسنًا يا ابنتي، كما تُريدين .

نامت الأمّ وهي تشعر بأنّ جُلنار تُخفي تأويلَ الحُلُم عنها، كان الحلمُ كقبضةَ محاربٍ تُمسكُ بعروقِ جُلنار فتوقفُ جريانَ الدّم وتحوّل لون وجهها المُشرق للّون الأصفرِ الباهت .
كان إحساسُ الأمّ في مكانِه، لا يخيبُ كالعادة .

بعد مرور عدة أيام ...

تمالكت جُلنار نفسها واستعدّت لتنفيذِ الوصية .

اعتزلتِ الناس أربعينَ يومًا حتّى ظنّوا أنّها باتت حبيسةَ الأ فكار السيّئة وسيطرَ عليها الحُزن ودمّرها.

لكنّها كانت تقضي مُعظم وقتِها بالتّأمل والتّفكر والتّسبيح لتزيدَ من طاقتِها الرّوحية وتُتِمّ هالتها النُورانية.

وكلّما زادت طاقتَها توهجَ الوشمُ حتّى كاد أن يحرِقَ عُنُقها النّاصع.

مرّت بلياليٍ عصيبةٍ و ثقيلةٍ، تارةً تشعرُ بالبردِ والارتعاش

وأُخرى بالحرارةِ والتّعرق وأمّها تجلسُ مكتوفةَ اليدين و القلب .

لاتملكُ تفسيرًا لما يحدث .

الأمّ : مابالك ياجُلنار، أنت الطبيبةٌ والمريضة، ماذا عساي أن أفعل .

جُلنار : أرجوك يا أمّي لاتقلقي عليّ، أنا بخير .

الأمّ: سأُنادي سلمى علّها تحملُ معي همّي .

جُلنار : لا لا أرجوكِ لا أريدُ رؤيةَ أحدٍ سِواك، سأتحسنُ غدًا إن شاءَ اللّه.

ضمّت الأمّ ابنتها وهي تدعو لها بالشفاء وترجو اللّه وتبكي ثم نامت جُلنار بحجرِ أمّها وغرِقت بالأحلام.

بينما الأمّ تُراقبُها والنّوم يُحاولُ أن يسلكَ طريقهُ إليها فتقاومهُ لتسهرَ على ابنتها وفلذةِ كبدها .

هلّ الصّباح بثوبه المُشرق ليمحو التعبَ والمرض عن جبينِ الحاكمة .

لقد باحت الوصيةُ بأسرارِ جُلنار المكتومةِ ذاتِ الإشاراتِ المُتبعثرة منذُ ولادتها.

خاتون كانت تعلمُ بكلّ شيء لأنّها كانت الحاكمة ولم تُنجب أولادًا يرثوها لكنّها نفثت على بطنِ فاطمة من أنفاسِها الحمراء ليكونَ جنينها هو الوريثُ للجدة .

كان سرًا لايعلمهُ أحد،

منذُ الأزل هناك حربٌ مُستمرة بين الطّين والنّار، بين الحبّ و الكُره وبيّن الخيرِ والشر .

لكلّ عالمٍ منهم حاكمٌ يتولى زمامَ الأمور ويُسيّس المماليكَ و الخانعين تحتَ حُكمه .

يقودُ الجيوش ويصارعُ حتّى ينتصر أو يُقتل .

في كلّ حقبةٍ زمنية يتواجهُ الجيشين المُتضادين فتسيلُ الدِّماء وتُبادُ الأعراق حتّى ترجح كفّة على أُخرى.

مضى زمنٌ غابر والسُلالة تنتظرُ حاكمةً جديدة .

لم ترغب خاتون أن يموتَ نهجُ الخيرِ معها فنفثتهُ في كائنٍ لطيفٍ عُجِنَ من طينٍ مخلوطٍ بحبٍّ وورد.

منذُ عِدة سنوات وقبلَ وِلادة جُلنار .

حين تقدّم جبلٌ لخطبةِ فاطمة، أخذَ والدها منهُ ميثاقًا غليظًا ووعدًا مُبرمًا.

أخبرَ جبل بقصةِ العرّافة الّتي جاءتهم ذاتَ يوم .

العرّافة : سأُخبرُك بمصيرٍ محتومٍ منقوشٍ في كتابِ فاطمة .

مولودَها لهُ بريقٌ ستراهُ حاكمةُ الشّر فتقتلُ المُنجبة.

أنقذ ابنتك قبلَ فوات الأوان .

أبا فاطمة: ماذا تقولين؟!!

هربتْ العرّافة بعيدًا والخوفُ يملأ ُ قلبُها بينما أبا فاطمة

يُناديها دونَ جدوى .

ومنذُ ذالكَ اليوم والأبُ مشغولٌ بالتّفكير والتّدبير ليجد لابنته

زوجًا يحبّها وينقذها من هولِ الأخطارِ التي تنتظرَها.

سمعَ جبل قصةَ العرّافة ووعدَ بحمايةِ فاطمة وأخذها لقريةٍ نائيةٍ بعيدة عن المخاطر.

وهكذا تمّ الزّواج بعد أن اطمأنّ الأب على ابنته المُدللة التي أصبحت تحتَ ظلّ رجلٍ شُجاعٍ وصادقٍ مثلَ جبل. الآن أتمّت الحاكمةُ جُلنار أيامها الأربعين في التّأمل والعُزلة واستعدت لـ لانطلاقِ برحلةِ البحثِ عن الطّائر العجيبِ الذي سيُساعدها بإيجادِ أبيها وإنقاذهِ والقضاءِ على ملكةِ الوادي وحاكمةِ قِوى الشّر .

كان الطّائرُ العجيب يختبأُ بين الأشجار الكثيفة في غابةِ الظّلا م المُجاورةِ للقرية وينتظرُ الحُكمَ عليه .

تهيّأت جُلنار وأعدّت العُدة للرحيل بعد غروبِ الشّمس بعد أن أخبرتْ أمّها بأنّها ستذهبُ لبيتِ سلمى كعادتِها.

سلكت طريقَها والسِراج يتأرجحُ بين يديّها وهي تعلم بأنّها أهلٌ لِما هي مُقدمةٌ على فعلِه.

دخلت الغابة وأصواتُ قرعِ الطُبول تستقبِلها دون أن ترى بشرًا أو حيوانًا حتّى .

كاد الخوّف أن يستحوِذَ عليها لكنّها تذكّرت مسؤولياتها

الثّقيلة وتشجّعت بالسيرِ بخطواتٍ ثابتةٍ قويّة .

نادت بصوتٍ مُنخفض: أيُّها الأمير ، أين أنت ؟!

أنا زهرةُ الرُمان، أنا الحاكمة .

هيّا تعالَ إلي .

كرّرت النِداء عِدة مرّات دونَ مللٍ أو خوف حتّى سمعت صوتًا غريبًا مُنخفضَ التردد يُشبِهُ صوتَ قرعِ الطُبول التي سمعتهُ عند دخولِ الغابة .

تقدمتْ أكثر فأكثر والصوّت يشتدُ مع اهتزازاتِ طفيفةٍ تحتَ أقدامِها .

قطعت خمسةَ كيلو مِترات حتّى توقّف مصدرُ الصّوت وتوقّفت معهُ .

نظرت حولّها وتفحصتِ المكانَ جيّدًا ولم ترَ سِوى حُفرة بجانبِ شجرةِ "الراتا "، نظرت للحفرةِ فوجتها بعمقِ نصفِ مترٍ تقريبًا .

جُلنار : يا إلهي إنّها شجرةُ الريمو التي لاتُزهرُ إلّا في مواسمٍ مُعيّنة، لكنّها الآنَ مزهرةٌ ونضرة.

سمعتْ صوتًا يخترِقُ الهواءَ مِن حولّها فالتفتت نحوَ الصوّت .

لقد رأتْ عيّنيّن واسعتين تلمعانِ كنجمتينِ في ليلةٍ مُظلّمة تقتربانِ نحوها رويدًا رويدًا.....

أصابها الجُمود ولم تقدر على التّنفس أو الحَراك فوقعَ

القنديلُ من يدها أمامَ تِلك العيّنيّن ليكشفَ هوية صاحِبِ اللّوحة الغامِضة .

إنّه كائنٌ أخضرٌ يكسوهُ الرّيش كما تكسو الطّحالب جلدَ الأشجارِ العِملاقة، يمشي مشيةً عجيبةً تُظهرُ ثِقلَ وزنِهِ الّذي يُقاربُ الأربعةَ كيلو غراماتٍ تقريبًا .
فتحَ جناحيهِ بسرعةٍ وقوّة ورفعَ رأسهُ نحو السّماء وأصدرَ الصّوت الغريب ذاتهُ الّذي يشبهُ قرعَ الطّبول وقالَ لِجُلنار : أنا الكاكابو، لاتخافي يا جميلتي .

جُلنار : لقد كنتُ أبحثُ عنّك أيّها الأمير .

ضحِكَ الطّائر وقال: أميرٌ نعم أميرٌ لكنني في جسدِ طائرٍ يختبأ كالشبح بين الأغصان وينتظر أنثى من فصيلة الببّغاء الّتي تُشبِهُني كلّ ثلاثةِ سِنين .

لعلّي أتكاثرُ فأزيلَ اللّعنة عنّي وأعودُ كما كُنت .

جُلنار : لا تقلق ستعودُ كما كنتَ قريبًا لكن دونَ تكاثرٍ. فقط أِذهب معي .

الطائر: لا أستطيع، أخافُ أن يراني أحدًهم فيبيعني ويُتاجِرَ بي، كما تعلمين بأنّي طائرٌ نادرٌ ومُهدّد بالانقراض.

جُلنار : سآخُذُكَ معي الآن فالوقتُ ليس لصالِحنا أبدًا .

لاعليكِ سأهتمُ بكَ جيّدًا وأنتَ ستُساعِدِني في إيجادِ مفتاحَ البوابةِ النّجميةِ المدفون .

الطّائر : عن أيِّ مِفتاحٍ تتحدثين؟!

هل جُنِنْتي.

جُلنار : لاتُخفي عنّي صغيرةً أو كبيرةً .

أنا الحاكمةُ الجديدةُ والجدةُ أخبرتني بقصتكِ قبلَ موّتها
لكنني ظننتُها من نسجِ الخيال ولم أتوقع أن أكونَ
في قِصتِكَ .

الطائر : أُصمُتي قبل أن يسمعنا أحدٌ فنهلك .

جُلنار: ألم أقل لكَ أن لا تقلق .

أنا أعرفُ كلّ شيء وحوّلنا الآن هالةٌ زرقاءَ قويّة تحرقُ كلّ
من يحاولُ الاقترابَ مِنا .

الطّائر : إذًا أنتِ الوريثة، هيّا لِنشرعَ بالمُهمة ونُنهي الأمرَ
بِسرعة.

انطلقا سويًا بعزمٍ وتصميمٍ وإرادةٍ وسلكا الطّريق نحوَ
الحُقولِ الغارقةِ بالظّلام.

سارت الحاكمة وراءَ الأمير بثقةٍ وثباتٍ حتّى وصلا لقبرِ
الجدة فقالتْ جُلنار : أيّن المِفتاح ؟!

قال الطّائر : هُناك تحتَ تلكَ الشّجرة .

جُلنار : يا إلهي، شجرةُ الرّمان، المكان المفضّل للجدة، لقد كان

المِفتاحُ مُخبَّأ هُنا طِوال الوقت دونَ أن نعلم .

الطّائر : قِفي بجانبِ الشجرة الأيمن وسيري عشرَ خطواتٍ مُلتصقة ثمّ انحرفي يسارًا خمسَ خُطواتٍ واحفُري حتّى تجِدي زُجاجةً مُمَردة بهيئةِ عُلبةٍ صدِئة.

جُلنار : سأفعلُ رُغمَ أنّي لم أفهمِ القصدَ جيّدًا .

فعلت كلّ ما قالهُ الطّائر حتّى وجدت عُلبة صدِئة مُهترئة فأخرجتها وحدّقت بها باستغراب.

الطّائر : انفثي عليها يا جُلنار فأنفاسُكِ الحمراءَ ستُزيلُ التعويذةَ عنها وتظهرُ الزُجاجة.

نفثت عليّها بالفعل، فانفجرت العُلبة وسطعَ نورٌ غريب لمعَ وسطَ الأرض كنيزكٍ هائمٍ يتشظى.

لقد ظهرت الأعجوبة وتحوّل الصدأُ لبريقٍ يتلألأ ُ كعقدِ ألماسٍ ثمين .

قالت جُلنار للطائر: يا إلهي، لا أكادُ أصدّق ما أرى .

هل كان سحرًا أم حُلمًا !

قال الطائر: أسرعي وافتحي الزُجاجة .

فتحتها جُلنار والشوق يستحوذُ عليّها، فخرجَ مِنها مفتاحٌ ضئيلُ الحجمِ، شفّافٌ وكأنّه من ماء .

أخرجت سلسلةً ذهبية أهدتها أيّاها الجدة وعلّقت المِفتاحَ به ثم جعلته عقدًا في جيدها.

الطّائر : لقد اختفى المِفتاح .

جُلنار : كيف يختفي، ألم تزعُم بأنّك صاحبُ عيون مُبصرة في الظّلام .

أنظر إليهِ جيّدًا إنّه في عُنُقي .

الطّائر : لا أرى سِوى عنقكِ الجميل مسوّرًا بسلسةِ

الذّهب تِلك .

جُلنار : كفّ عن مُلاطفتي وإلّا سأنتِفُ ريشك واحدةً تِلوَ الأ ُخرى .

ضَحِكَ الطّائر وقال : أظلُّ رجلا ً ، أنسيتي ؟!

تبسمت جُلنار وقالت : إن كرّرت فعلتكَ فلن تعودَ رجُلا ً .

الطّائر : ماذا أفعل يا جُلنار ؟ فجمالك قد سبى قلبيَ الصّغير .

هربت من كلماتهِ الجميلة وقالت : لم تُخبرني لِما لم ترَ المِفتاح .

الطّائر : إنّها تعويذةُ الوشمِ المحفورِ على عُنُقكِ، سيطرت على قوّة المِفتاح لتُخفيه عن الأنظار .

لن يراهُ أحدٌ سِواك .

جُلنار : هيّا بِنا لنُسرع .

أظنُ أنّ الشُكوك تتلاطمُ في مُخيّلة أُمّي .

لقد تأخرتُ كثيرًا .

عندما نصلُ للمنزل سأُخبِئُك في جيبي فلا تُصدر أيّ صوت لتمُرّ اللّيلة بسلام .

الطّائر : نعم ، اتفقنا ، لكن لاتنسي أن تُطعميني.

أنا جائعٌ جدًا .

جُلنار : هيّا اختبأ في جيبي ، لقد شارفنا على الوصول .

دخلتْ جُلنار للمنزل بيّنما أمّها تستشيطُ غضبًا والقلقُ

يستوطنُ قلبها .

الأمّ : لماذا تأخرتي يافتاة؟

لقد خِفتُ عليكِ.

ألا تعلمي بأنّ هُناك أمٌ قلبها يفورُ من شدةِ الخوف .

سارت جُلنار نحوَ أمّها وضمّتها وقبّلت يديها وقالت : أنا هُنا ،

بجانبِكِ يا أُمّي .

كنتُ أتمشى بالخارجِ قليلا ً .

خرجتُ من بيتِ جارتنا سلمى وأردتُ التّرويح عن نفسي فسرقني الوقتُ لا أكثر .

الأمّ : لاتُعيدي فعلتكِ هذه، يكفيني غيابُ أبيك الّذي أنقضَ ظهري .

جُلنار: هيّا يا أُمّي، لقد كبرتُ ولم أعُد صغيرةً لتقلقي.

أنا جائعةٌ وأريدُ طبقًا من طعامكِ اللّذيذ .

الأ ُمّ: حالًا يا حبيبتي .

ذهبت جُلنار لغرفتِها وتناولت الطّعام الّذي أحضرتهُ أمّها مع ا لأميرِ و خلدا للنوم بعد عناءِ اللّيلة الثّقيلة.

استيقظَ الجميعُ على صُراخِ أهل القرية ونِداءاتهم بالغوثِ و المُساعدة .

خرجت جُلنار مُسرعةً لِترى مايحدث بعد أن خبّأت الأميرَ في جيبها.

لقد رأت نارًا عظيمة تستعرُ بيّن الحقولِ وتأكلُ

المحاصيلَ، والنّاس يُسارِعون لإطفاءِها دون جدوى .

حينها علمِت بأنّ طُبولَ الحربِ قد قُرِعت وأنّ المُواجهة باتت قريبة.

نادت أمّها لتخبرَ الجميع بالابتعاد عن النّار وعدمِ مُحاولة سكبِ الماء فوقها وركضت مُسرعة نحوَ النّار الهائِجة تُتمتِم عليها وتنفثُ حتّى خمدت وتلاشت ولم تُبقي خلفها سِوى الدُخان الكثيف.

نادت بأعلى صوتها : اِظهري أمامي وواجهيني .

أينَ أنتِ؟!

دعيكِ من القرية ولاتجعليها ساحةً للحرب .

حربُك معي .

خرج صوتٌ مخيفٌ من بين الدُخان يقول: لن أدعكِ وشأنكِ حتّى أبتلعكِ ومن تُحِبين .

تعالت أصواتُ الضّحكات المُخيفة وسيطرت على الأجواء لكنّ جُلنار لم تخف أو تتراجع بل ردّدت شِعار الحاكماتِ المُتوارث: سيعقبُ اللّيل النّهار ولن تموتَ شمسُ الخيرِ فينا .

اختفى الدُخان وحلّ السُكون ولم يبقى سِوى صوت الرّيح في الأجواء .

جلست جُلنار والأميرُ على كتِفها يواسيها ويقوّيها ويقولُ لها : أنا معكِ لا تشغلي نفسكِ بما سيحدث.

هيّا بِنا .

رجعت جُلنار للقرية تُطمأِنُ أهلها بأنّ النار انطفأت وربتت على قلوبهمُ المكسورة بكلماتِها الدّافئة .

مرّت الأيّام وجُلنار تعيشُ على أعصابِها وتنتظر، لكنّ الطّائر كان يقترحُ عليها كلّ يومٍ بالمُبادرة لتفادي الأذى الّذي سيحلُّ على القريةِ إن عادتْ ملكةُ الوادي الشّريرة.

قررت جُلنار المُضيَ قُدمًا بعد التّأثير الّذي صنعهُ حديثُ الطّائر المُستمر معها .

حزمت أمتعتَها وتجهزت للخروجِ ليلا ً مع الأميرِ دون عِلمِ أمّها .

وتركت رسالةً لها فوقَ الطّاولة ثم تسللت من البيت بهدوءٍ وذهبت .
الأمير : تشجعي أيتُها الحاكمة وتذكري بأنّك الوريثة .

تذكري الجدة كلّما فترت هِمتُك .

تذكري أبيكِ الّذي لم يراكِ بعد .

تذكري القريةَ وأهلِها وجارتُكم وأولادها .

لاتنسي أُمّكِ وحالُها إن علِمت بأمركِ .

تذكري بأنّي أعتمدُ عليكِ لأعودَ كما كُنت .

ذرفتْ الدّموع من عيّنيّها وجلست وكأنّ كلامَ الطّائر صفعها بيدِ المُعلّم المُحِب .

جُلنار : المَسؤّولية كبيرة أيُها الأمير .

الأمير: أنتِ أهلُها هيّا تشجعي ولُمّي شتاتكِ لنُكمل المَسيرَ للوادي .

عبرا الطّريق وتحمّلا مشقةَ السّفر وعنائِه وتعثرا وتعِبا ثُمّ وثبا حتّى وصلا بالقُربِ من الوادي .

جلستْ جُلنار تراقبُ مدخلَ القريةِ المهجورة وتخطّطُ مع الأ مير ماسيفعلانهِ وقلبُها مشغولٌ بحالِ أمها من بعدها .

لقد علِمت فاطمة بأمرِ الرّسالة وانهارت حُزنًا على مصيرِ ابنتها جُلنار وأصبحَ الجُرحُ جُرحين.

هرعتْ سلمى وأولادها لنجدتِ فاطمة بعد أن سمِعوها وهي تُنادي وتجهشُ بالبُكاء .
قرؤوا الرّسالة و تماسكوا من أجلِ فاطمة الّتي أصبحت طريحةَ الفِراش والألمُ يقضِمُ ماتبقى من قُؤادِها الّذي ذهبَ مع الحبيبِ ولم يعُد .

حقًا إنّه لم يعد؛ فجبلٌ غارقٌ بالخيال ولايرى سِوى ملكةٍ بالغةِ الجمال أمامهُ .

لقد نامَ نومًا عميقًا وانتقلت روحَهُ لمملكةِ الوادي الّتي تحكُمُهُ الملكةُ "شانجيزاروا" .

يرى كلّ شيءٍ حوله غيرَ عاديّ ويظنُ أن الوقتَ لم يمضي بعد .

السِّحرُ سيطر عليهِ وأنساهُ كلّ شيء .

إنّه يغوصُ بالتّرف والنّعيم ويكتفي بملامحِ "شانجيزاروا" الّتي باتت شمسهُ الّتي لاتغيب، حيثُ لا وقتَ يحكمُهُ ولا ذاكرةً تُسعِفُهُ .

يأكلُ ما لذّ وطاب ويتنقلُ بيّن الزّهور ويشمّ أجودَ العُطور وينامُ على فراشٍ كأنّه غيّمة ناعمة تحتضُنُه لتُنسيهِ عناءَ كلّ شيء .

كؤوسٌ برّاقة و أرائِك مُريحة، وشرابٌ سائِغٌ حُلوَ المذاق، إنّه عالمٌ لا يتصورهُ أحد .

لكنّ الحقيقةَ عكسُ مايُرى تمامًا.

الوادي جزءٌ من عالمٍ غارقٍ بالشّر والظّلام.

عالمٌ مُخيف غامِض، إن رآهُ إنسيٌ كما هو سيفقدُ عقلهُ حتمًا .

كائناتٌ رقيقةٌ ضئيلةٌ الحجم، مخيفةُ المنظر، قبيحةٌ ذاتُ عيونٍ تُشبه عيونَ القِطط .

عيونٌ تلمعُ فتخطفُ العقلَ وتلتهمهُ دونَ شفقةٍ أو رحمة، منّها الحمراءَ ومنّها الصّفراء .

تتشكلُ في أيّ جسدٍ تريدهُ وكأنّها ماءٌ ترسمُ حدودَها بكلّ إناءٍ يحتويَها .

تخترقُ جِدارَ الزّمن وتطيرُ دونَ أجنحة .

تغوصُ في الأعماقِ دونَ أن تغرق .

لكنّ الشيءَ الوحيدَ الّذي ينقُصَها هو ذاكَ المِفتاح .

مِفتاحُ البوابةِ الّذي سيجعلُ حامِلهُ يُمسكُ زمامَ الأمورِ ويُسيطرُ على العالمِ بأسرهِ .

الملكةُ تفورُ وتثورُ من أجلهِ منذُ سنينٍ وتحرقُ الأخضرَ قبل اليبس لتعثرَ عليّه .

لقد اشتمت رائحةَ المِفتاح في جلدِ جبل وعلِمت أنّ أحدًا من نسلهِ سيحملهُ؛ فقيّدتهُ بسحرِها لتتّبع أثرَ الرائحة .

أمرت جنودها بالتّقصي والبحثِ ليعلموا كلّ شيء عن جبل ومسكنهُ وأصلهِ فوصلوا للقرية وتركوا خلفهم النّار الّتي أوقفتها جُلنار وتصدّت لهم بعنفوانٍ غيرَ مسبوق .

تلكَ النّار كانت بدايةَ الحربِ المُؤجّلة منذُ عقود .

حربٌ ضروس ستأكلُ كلّ مافي طريقِها من حجرٍ وشجرٍ وبشرٍ لكنّ الوريثةَ قرّرت المُبادرة وسحبِ أرض المعركة للوادي .

ذهبت مع الأمير دونَ أن تعلمَ بأنّ الجيشَ "الفيلسي " يتبعَها

من فوّقها دون أن يُصدر أيّ صوّت؛ وكأنّ الرّيح تتأرجح بيّن ا
لأشجارِ وتتجاهلُ أجسادَهم الهائِمة بيّن طياتِ الأ ُفُق.

كانت تجلسُ مع الطّائر وتُفكرُ كيف ستُعلن بِدأ الحرب وأبيها
مُقيدٌ أسيرٌ في مملكةِ وادي العجائب ؟!

كيف ستحاربُ ملكةَ الوادي وجيشها العَرمّرم لوحدِها ؟!

اهتزّت الأرض بشكلٍ مُخيفٍ جِدًا وعلا صوّتٌ عنيفٌ يشقُ
المسامِعَ و يشبهُ صوّتَ العاصفةِ الهوّجاء،

ابتلعت السّماء قمرها بقضمةٍ واحدةٍ ولم تترك سِوى بضعَ
قطراتٍ من دمِه لوّنت مكانه المعهود بلونِ الشّفق الأحمرِ .

نظرَ الأميرُ معَ جُلنار بعينٍ واحدةٍ خلفهم فوجدوا الآلاف من
المخلوقاتِ الغريبةِ المُدجّجة بالدروعِ والسّهام و السيوفِ
البتّارة .

لقد سيطرت الصدّمة عليهما فوقفا كوتدٍ متشبّثٍ بالأرضِ
دونَ حراك، وقبلَ أن ينطِقا بأيّ كلمة.

ناداهُما الجيشُ بصوتٍ واحدٍ : " تقدّما ولا تخافا، إنّا نحنُ
الجيشَ الفيلسي، جيشُ النّور، سنُحارب معكم حتّى
آخر رمق .

فتح الطّائر جناحيهِ بقوّة وأصدرَ صوتهُ الّذي يشبهُ قرعَ
الطّبول وجعل يدورُ حوّل جُلنار ويُناديها بصوتٍ عالٍ:
استيقظي ياجميلتي، هيّا لننطلق .

نظرت جُلنار حولّها وقالت : أيّها الجيشُ العظيم، كلّي عزيمةً وإصرارً على المُضيّ قُدما نحوَ الهدف لكننّي أخافُ على أبي؛ إنّه أسيرٌ عِندهم .

ظهرً من بين الجيش رجلٌ طويلُ القامةِ أبيضَ اللّحية، يحملُ وجهًا مُنيرًا ويتوكّزُ على عصًا متينة رُغم قامتهِ

المُنتصبة وقوامهُ الممّشوق.

قال الرجل : سآتيكِ بهِ يا جُلنار .

قالت جُلنار : من أنتَ أيُها الشّيخُ الكريم .

تبّسم وقال أنا حكيم، مُستشارَ الوريثة.

لا عليكِ يا ابنتي، كلُ شيءٍ سيجري على مايُرام .

صمتَ الجميع بحضرتهِ وكأنّ صوّته مِزمارٌ سحريٌ يسيطرُ على الألسنةِ فيربطُها ويستحوذُ على القلوبِ فيأسِرها .

سارَ حكيمٌ بخطواتٍ ثابتةٍ نحوَ القريةِ المهجورةِ ونادى بكلماتٍ غريبةٍ فظهرتْ أمامهُ بوابةً عظيمةً مِقبضُها رأسُ أسدٍ كبيرٍ أسودٍ .

لمسَ بيدهِ المِقبضَ ووضعَ أصبعهُ بفمِ الأسدِ فتُتِحت البوابة .

دخلَ المُستشارُ لمملكةِ الوادي وهو يرتدي العباءة"

السرهبقية" .

إنّها عباءةٌ تبتلعُ من يرتديها فلا يراهُ أيُ مخلوق .

ذهبَ نحوَ القصر الّذي يقطنهُ جبل واخترقَ الجُدران بخفةٍ وانسياب .

لقد كان جبل مُسترخيًا فوقَ السّرير ينعمُ بالراحةِ ويأكلُ العِنبَ الطّازج .

نظر إليّهِ حكيمٌ ورمىَ فوقهُ خيطًا حريرًا أبيضًا كأنّه من

شعاعِ الشّمس فجعلهُ يغلقُ عيّنيّه ويغطٌ في النّوم .

حملهُ وخبّأهُ بداخلِ ردائهُ الخفي وسارَ بهِ خارجَ البوابة ثم تمتمَ عليها فاختفت وكأنّ شيئًا لم يكن .

أكملَ المُستشار طريقهُ حامِلا ً جبل حتّى وصلا لشجرةٍ عظيمةٍ مزروعةٍ بجانبِ كوخٍ قديم .

دخلَ المُستشار للكوخِ ووضعَ جبل على الأرض و دثّرهُ جيّدًا ثمّ هرعً للشجرةِ وقطفَ بعضًا من أوراقِها الغضّة وطحنها ثم وضعها في كيسٍ قُماشيّ رقيق وذهبَ لجبل الّذي مازال يغطٌ في النَّوم .

حملَ الكيسَ القُماشي وركنهُ فوقَ صدرِ جبل وخرجَ من الكوخ .

أخرجَ من جيبهِ قارورةَ زيتٍ عُطريٍّ ورشّ بِضعَ قطراتٍ على

عتبةِ الكوخ وذهبَ نحوَ جُلنار الّتي تنتظرُ برفقةِ الجيش و الطّائر .

لقد سعى المُستشار لحمايةِ جبل من السّحر الّذي ينهشُ روحَهُ، وأسكنهُ الكوخَ ليُتابعَ علاجهُ بعد أن يُطمئنَ ابنته الّتي تنتظرُ خبرًا عن والدِها .

حكيم : لقد أتيتُ يا ملكتَنا الموقرة .

جُلنار : أهلا ً بكَ أيّها المُستشار، أرى بعينيّك أخبارً سارّة .

حكيم : لقد أصبتِ القول .

إنّ أباكِ في عُهدتي، سأشرعُ بعلاجهِ بينما تنتصرينَ

وترفعينَ الرّاية ليفخرَ بكِ والديّكِ يا ملكتنا الطّيبة .

اقتربت جُلنار من حكيم والفرحُ يعتنقُ ضحكاتِها وقبّلت رأسهُ وقالت : لن أنسى لكَ صنيعكَ هذا ما حييت .

المُستشار: إنّه واجبي لا أكثر .

عاد حكيم ليكملَ مهمّته ويعالجَ جبل بينما جُلنار برفقةِ الطّائر والجيش تستعدُ للملحمةِ التّاريخية .

"شانجيزاروا"

أين أنت ؟!

هيا أخرجي وواجهيني.

قالت جُلنار ....

لم يستجب لها أحد؛ فقالَ الأمير لها : ضعي يدك فوق المِفتاح وارفعيهِ ليُحاكي النّجوم المُعلّقة على عنقِ السّماء، ستصلُ الإشارة إليّها وتنقضُ علينا كلبؤةٍ جائعة.

تمّ الأمرُ وتحقق المُراد وآن موعدُ اللّقاء .

زمجرت ملكةُ الوادي وهي تُنادي جيشها بصوتٍ عال

مليءٍ بالغضب: عليكم بالجيش الفيلسي، هيّاااااا.

اِحتدم القتالُ وسالت الدِّماء وعلت الصيحاتُ والسيُوف تبترُ الأجنحة وتُقطّع الأجساد.

الرؤوسُ تتدحرجُ بيّن الأرجلِ وصليلُ السّيوف يعلو ويعلو.

استمر القِتال لمدة يومين كاملين دون هوادة ولم يتبقى من الجيشين سِوى بضعةِ مُقاتلين مُنهكين خاروا من التّعب وسقطوا أرضًا.

وقفت جُلنار أمامَ شانجيزاروا تتحداها بنظراتِها الثّاقبة وتنتظرُ ماستفعل .

ضحِكت ملكةُ الوادي ضحكةً شريرةً صفراءَ وقالت : لن تستطيعي فعلَ شيءٍ سِوى الخضوعَ والركوعَ أمامي.

جُلنار : تثقينَ بكلامكِ وكأنّك تُمسكين بقلبي بين يديّك وقد تمزيقنهُ بأيّ لحظة.

ملكةُ الوادي: إنّك ذكيّة يا هذه .

هيّا أيّها الخادم، إجلب لي الأسير.
جُلنار : توقفْ قليلا ً، فأسيرَكم قد تحرّر .

ملكةُ الوادي: ماذا تقولين؟!

هل أصابكِ الجُنون!؟ .

تحققَ الخادمُ من جبل لكنّه لم يجد أثرًا لهُ أبدًا فاصفرَ وجههُ وارتجفَ من الخوف وأخبرَ الملكة بما حدث .

صرختْ في وجههِ فانسلخَ وجههُ واحترقَ وباتَ رمادًا.

ملكةُ الوادي: أيّتها اللّعينة، كيف استطعتِ اختراقَ مملكتي سآكلُ قلبكِ وأشربُ من دمِكِ .

اِنقضت نحوَ جُلنار بلمحِ البصر لكنّها حينَ اقتربت منّها احترقتْ وتلاشتْ وباتتْ دُخانًا مُتراكما اخترقَ صخرةً عِملاقةً واختفى .

وفي ذاتِ اللّحظة تناثر ريشُ الطّائر الأخضر وخرج من بينهِ شابٌ ذو لحيةٍ كثيفةٍ سوداء، واسعُ الجبهةِ، أحمرَ الثّغر، جذّاب وسيم استحودَ الجمالُ كلّه دونَ مُنازع .

لقد كان الأميرُ الّذي حوّلته شانجيزاروا لطائرٍ نادرٍ لأنّه رفضَ

الزّواج بها رُغم سحرَها الذي ألقتهُ عليّه دونَ جدوى .

لم يكنِ الأميرُ يعلمُ بأنّ موتها سيزيلُ اللّعنة عنهُ .

أخبرتهُ أن يبحثَ عن أُنثى ببّغاءَ ليتزاوجَ معها وينجبَ وإلّا لن تزولَ اللعنة أبدًا .

حلّ الفجرُ واسدلَ بركتهُ فوقَ القريةِ المهجورةِ فاختفت عنِ الوجود .

وزالَ الشّر وانقشعَ الظّلام عن الوادي وباتَ أرضًا خِصبةً

مزروعةً بالأ ُقحوان والبابونج والأعشابِ النّادرة

والمعروفةِ أيضًا .

عادَ كلُّ شيءٍ كما كان منذُ عقودٍ وابتلعتِ الأرضُ آثارَ الملحمةِ ولم يتبقى عليّها سِوى النّصر ورايات النّور المرفوعة.

ذهبَ الأميرُ العاشقُ نحوَ جُلنار وتشابكتْ عيونهُما وقلوبَهُما وسارا نحوَ الكوخِ بصمتٍ.

مشيا سويّا وأرواحُهُما تتعانقُ وتعلنُ بدايةَ قصةِ حبٍّ جديدةٍ.

كان الكلامُ لايخرجُ من أفواههم بل من أفئدتِهم المُتعطشةِ للعشقِ الضّائع.

نسيا أمرَ الطّريق كلّهُ ولم يُدركا الوصولَ إلّا برؤيةِ الشّجرةِ

الكبيرةِ .

نادت جُلنار : أيُّها المُستشار، أيّن أنت ؟!

خرجَ إليّها وهو يضعُ كفّهُ فوقَ فمهِ ويقول : أخفضي صوتكِ يا جُلنار فأبيكِ نائمٌ .

جُلنار : حسنًا ياحكيم ، تعالَ لنجلسَ مع الأمير تحتَ الشّجرة لتُطلعَنا على حالِ أبي .

جلسَ الجميعُ تحتَ الشّجرة وتبادلوا الحديث .

حكيم : السّحر معتقٌ بوالدكِ منذُ سنين وأحاولُ قدرَ المُستطاع أن أنزعَ آثارَ الشّرِ والسّقمِ منهُ .

الأمير : هيّا جميعًا لنذهبَ إليّه .

ستضعُ جُلنار المِفتاح الّذي في عُنقها فوقَ رأسهِ ليفتحَ آفاقَ النّورِ ويزولَ البأسّ عنّهُ .

سننجحُ بإذنِ اللّه.

هيّا بِنا .

دخلوا للكوخِ والأملُ يدفعهم نحوَ جبل .

تمتمَ حكيمٌ فوقهُ ونفثَ عدّة مرّاتٍ بيّنما جُلنار تضعُ المِفتاحَ على رأسِهِ.

مرّت بضعةٌ دقائقٍ والجميعُ متشوّق لما سيحدث .

لقد استيقظ جبل وزالَ السّحر منهُ بعد أن تقيّأ كلّ مافي جوفهِ .

جبل : من أنتم ؟!

أيّن أنا؟!

أيّن بِضاعتي وثُقودي؟!

آهٍ يارأسي، إنّه ثقيلٌ جدًا ويُؤلمُني كثيرًا .

حكيم: لا تقلق، سيزولُ كلّ شيءٍ قريبًا .

هل تتذكر شيئًا؟!

أيّن كُنت ؟

جبل : لقد كنتُ أمامَ قريةٍ بجانبِ وادي العجائبِ، أردتُ الدّخولَ إليّها لأستريحَ ثُمّ أكملُ رحلتي وأعودُ لقريتي.

فزوجتي تنتظرني مع جنينها الّذي أتشوقُ لرؤيتهِ .

انهارت جُلنار وسقطتْ على الأرضِ وهي تبكي فساعدها الأ ميرُ لتتماسكَ وجفّف دموعَها وسندَ ضعفها وقال : تشجعي يا جُلنار وكوني قويّة من أجلِ أبويك.

نهضتْ وركضتْ نحوَ والدها وضمّته بقوّة وقبّلت يداهُ وهو مستغربٌ مِما يحدثُ معهُ .

اقتربَ حكيمٌ من جُلنار وأخذها للخارجِ وأوصى الأميرَ بِها حتّى تهدأ و تعودَ لرُشدِها .

جبل : مابالُ تلكَ الفتاة؟!

كأنّني أعرِفُها!

من هي ياتُرى ؟!

حكيم : سأحكي لكَ القِصّة كاملة لكنّنا سنشربُ كأسًا من الأ عشابِ لنسترخي ونتحدثُ براحةٍ .

أخبرهُ بكلّ ماجرى لكنّه لم يستوعبِ الأمر وظلّ يفندهُ ويجادلهُ حتّى سلكت الأعشابُ طريقها لعقلهِ فاستعاد الذّاكرة وعاشَ الصّدمة الكُبرى .

صرخَ وبكى ثم ركض بيّن الأشّجار والقهرُ يأكلهُ بينما الصدمةُ تدفعهُ للجنون .

جبل : آهٍ يا زوجتي الغالية، ماذا حلّ بكِ، لقد أكلَ الدّهر منكِ وشرب .

ماذا عانيّتِ بغيابي .

كيف استطعتِ أن تعتني ببنتنا جُلنار .

تبِعت جُلنار والدها وسارت نحوهُ وهي مشتاقةٌ لحضنٍ لم تعرفهُ سِوى بلسانِ الأطفالِ الذين لديهم آباء يحيطونهم بـ الحبِّ والرِعاية .

أخرجت جُلنار الطِفلة التي تختبأُ بداخِلها وآوتها لحجرِ أبيها وبقيت مُلتصقةً بهِ وهي تقول : لا تتركني مجددًا يا والدي، لن أتحمّل فِراقك.

عادَ الجميعُ للكوخِ بعد غروبِ الشّمس وتبادلو حديث الشّوق والغُربة، وكلٌ منهم يروي قصّته للآخر،

زرعت جُلنار روحها بيّن ذراعي والدها واستسلمت للطمأنينةٍ التي لم تذُقها من قبل .

ثمّ نامت دونَ أن تدري .

أشرقت شمسُ الصّباح والجميعُ يغطٌ بنومٍ عميقٍ إلّا الأمير .

كانَ يحدّق بجُلنار وكأنّه يسكنُ عالمًا لوحدهِ معها .

يغرقُ بتفاصيلها وتكوينها.

يتمنى أن يسرقها ويطيرُ بها بعيدًا عن كلّ البشر .

فتحتْ عيناها الجميلتان لترى الأميرَ أمامها مفتونًا بها و العشقُ يفوحُ مِنهُ ليخبرَ كلّ من يراهُ بأنّه هائمٌ ومسحورٌ بِها .

داهمها الحياءُ ليشعلَ الخدودَ بالزّهر ويبعثرَ الكلماتِ على لسانها .

لم تستطع النّطق أمامَ تلكَ النّظرات .

واكتفيا بكلامِ القلوب وتشابكِ الأرواحِ والتّواصل بلغةٍ لا يفهمُها سِوى من أحتلّه الهوى .

خرجتْ الوريثةٌ لِتُنقِذَ نفسها من الغرقِ فيهِ أكثر وتبِعها الأميرُ بينما الحكيمُ يشاهدُ روعةَ مايجري دونَ أن يُشعرهُما أنّه مُستيقظ.

جبلٌ نائمٌ والأسى يثقلُ رأسهُ، كانت حالهُ كحالِ سكّيرٍ شرب جرّة خمرٍ كبيرةٍ فارتمى وغشيَهُ ماغشيهُ ليبدو كميتِ يتنفسُ.

الأمير: التفتي إليّ يا جميلتي .
التفتتْ جُلنار بصمتٍ وخجلٍ يزدادُ بكلّ حرفٍ ينطقهُ الأمير .

الأمير : أنظري في عيني سترينَ وجهكِ يطلعُ كالبدرِ في سماءِ مُقلي.

أنا أعشقُكِ ياجُلنار.

أُحبُّكِ.

أشعرُ أنّني خفيفٌ كالريشةٍ حينَ أراك.

أبحثُ عنكِ منذُ زمن .

أنتظرُ الفتاة الّتي ستتربعُ عرشَ قلبي بنظرةٍ واحدةٍ تُميتُني وتحييني.

اقتربي منّي أكثر لأتنفسكِ وأخزّن عبقكِ بيّن خلايا دمي.

اقتربي منّي دونَ مساسٍ، لستُ مُستعدًا للاحتراقِ بشمسكِ النّاضجة.

مدَّ يديهِ نحوها وأمسكَ بيديها وقلبهما كتائهٍ عطشٍ يجوبُ الصّحراء بلا ماءٍ ويلفظُ أنفاسهُ الأخيرة فتمطرُ السّماءُ فوقهُ غيثًا يسقي شفاههُ الجافة.

لم تنطق جُلنار ببنتِ شفا بل استسلمت للهوى ورفعت راياتها وسلّمت أسوارَها لمستوطنٍ سباها بعشقٍ ولِد منذُ النّظرةِ الأ ولى.

تنفستْ الصّعداء وقالت: كنتُ أبحثُ عن رجلٍ يسندُ ضعفي وأركنُ إليّهِ كلّي دونَ قلقٍ أو خوفٍ وأملكُ مفاتحَ السّعادة حينَ يزرعُ روحَهُ في تُربتي فتُزهرُ عائلةً مُطمئنةً ترتشفُ الحياةَ بإشراقةِ شمسِ الحُبِّ
ربيع: يا إلهي!

لستُ في حُلم، أليس كذلك؟

أسمعُ لحنًا أسطوريًا مفقودًا.

كفّي، لم أعد أحتمل.

كان الحِوارُ بينهم أشبهُ بأغنيةٍ ذاتَ ألحانٍ سحرية، ولقاءهم

كأنّه لوحةَ عشقٍ تتراقصُ بين الأشجار يُبصِرُها كلُّ من يحملُ بصدرهِ قلبًا ذاقَ الهوى فعرفَ طعمهُ .

كان العاشقان يغرقان بالحبّ بينما المُستشار يقفُ وراءَ النّافذة ليراقبهُما بصمتٍ ويحمي أسوارَ الهُدُوءِ بيّن جفناتِ ءالمَهم المصنوعِ من بريقِ أعيُنهم ونبضاتِ قلوبهم .

جبل : جُلنار، جُلنار .

أين ابنتي ؟
أريدُ ابنتي .

حكيم : ستأتي بعدَ قليل، لا تقلق .

قدّم الحكيمُ لجبلٍ كوبًا من مغلي الأعشابِ الدّافئة وجعلَ يبادلهُ الحديث لحينِ عودةِ جُلنار .

الأمير: حبيبتي جُلنار، خُدي هذا المنديل، مُطرزٌ عليهِ اسمي بخيوطٍ حريريةٍ ناعمةٍ كبشرتكِ اللؤلؤية.

طرّزي اسمكِ بجانبِ اسمي لنبقى سويًا طِوال العُمر .
جُلنار : رائحتهُ جميلةٌ جدًا.

الأمير: ليست بأجملَ من رائحةِ جسدكِ التي تفوحُ من مساماتِ جلدكِ كما يفوحُ المِسكُ من قارورةٍ ذهبية .

صمتت جُلنار بعد أن وقعت الحروفُ من لسانِها كما يقعُ الطِّفلُ حينَ يخطو خطوتهُ الأولى .

أمسكَ الأميرُ بيدها وقبّلها ثمّ وضعَ كيسًا قماشيًا فيهِ بعضُ البذور .

جُلنار : ما هذا ياربيعي؟!

ربيع : إنّها بذورٌ لشجرةٍ اسمُها "شجرةُ العُشّاق" .

عند عودتِكِ مع أبيكِ للقريةِ، قومي بزراعةِ البُذور واعتني بها جيّدًا .

ستنبتُ الشّجرة و تزهرُ وستصبرينَ لتأكُلينَ من ثمارها وتستظلي بظلّها وتستمتعي برائحةِ أوراقها الفوّاحة إلى حينِ عودتي إليكِ .

جُلنار : لا تذهب، كيف لكَ أن تترُكني بعد أن علّقت روحي وسبيتَ قلبي .

الأمير: سأذهبُ لمملكتي.

لم أرَ أهلي منذُ زمن .

سأطمئِنُ عليهم و أرى ما حلّ بهم و بشؤونِ المملكة من بعد غيابي، أعتقدُ أن حالُهم يُرثى لها .

تأكدي يا جميلتي بأنّي سأعودُ إليكِ وآتيكِ خاطِبًا وعاشِقًا وراغِبًا بكِ ملكةً لقلبي و قصري .

جُلنار : عِدني بذلك .

الأمير : أقسِمُ أنّي سأعودُ إليكِ .

وإن لم أعُد برغبتي؛ سيحملُني الهوى رغمًا عنّي .

جُلنار : هل قدري الانتظارُ دومًا .

حُرِمت من حضنِ أبي وانتظرتهُ طويلا ً فوجدتهُ بعد عناءٍ وحزنٍ وبُكاء.

والآن بعد أن وجدتُك، ها أنا أفقدكَ لانتظرَ وأعيشَ الألمَ مرّةً أُخرى .

يالي من تعيسةِ حظٍّ .

الأمير : تعالي معي لتُشاركيني رِحلتي .

جُلنار : لا أقدر ، فأهلي بحاجتي أيضًا .

سأصبرُ وأنتظرُ عودتك .

لا أملكُ من حيلةٍ سِوى الصّبر .

تعانقَ العاشقانِ والدُموع تمطرُ جفونهم بينما القُراق يقطعُ أوصالهم.

كُلما ابتعدا ركضا وتعانقا مُجددًا وكأنّهما يُفارِقانِ الحياةَ ببعدِهِما عن بعضهما.

ربيع : أعطيني ذِكراكِ لأزرعها بصدري يا حبيبتي .

جُلنار : خُذْ وِشاحي معكَ ليُعانِقك عِندما تشتاقُ إليّ .

ربيع : سينامُ على صدري مادامَ القلبُ ينبضُ باسمكِ .

كانت لحظةً مُرّة كالعلقم.

الفُراق صعبٌ جدًا والانتظارُ أصعب .

سلكَ الأميرُ طريقهُ تاركًا قلبهُ ينبضُ بينَ ضلوعِ حبيبته.

كان جسدًا مُسافرًا دونَ حقائب .

تركَ كلّ مايَملِكُ معها وسارَ عاريَ الرُوح مَسلوبَ الفُؤاد .

وجُلنار المسكينة تُلفّظُ أنفاسَ الفرحِ الأخيرةِ فيها.

لقد احترقت دموعُها وتبخرت لتُشكِل غيمةً تمطرُ الألمَ في أنحاءِها فتعيثُ الفساد في روضِها الذي كان يقتاتُ بربيع .

عادت للكوخ تجرُ نفسها بصعوبةٍ بعد أن بدأتْ رحلةُ السّفر عند ربيعٍ فوجدتْ حكيم يقفُ أمامَ البابِ وينتظرها.

حكيم : لاتحزني يا جُلنار، سيعودُ بإذنِ الله.

جُلنار : لا أعرفُ ماذا حلّ ببُنياني، أظُنّه يتصدع.

لقد عانيتُ ماعنيت وظننتُ أنني سأرتاحُ أخيرًا .

قلتُ لنفسي، ها قد وجدتُ أبي ووجدتُ رجلي في ربيع .

لقد وجدتُه فأضعتهُ في نفسِ اللحظة.

لا أحدَ يعرفُ، كم عانيتُ في السنينِ الغابرةِ وظننتُ بأنّ هذهِ السنة ستكونُ عامَ غوثي فباتتْ نصفَ عامٍ ونصفَ سنةٍ .

الحكيم : لا تُتعبي نفسكِ بالحديثِ عن الماضي.

أنا أعرفُ كلّ ماعانيتِ .

كنتُ أراقبكِ عن كثبٍ لأحميَكِ من أيّ أذى.

وسأظلُ حوّلك وإن لم ترني .

جُلنار : ماهذا الذي أسمعهُ .

هل من مفاجآتٍ جديدةٍ عليّ أن أعرفها وأُصدم بها .

حكيم : هوّني عليكِ وامسحي الحُزن عن وجهكِ .

هيّا لندخل، أباكِ ينتظرُكِ .

دخلا الكوخَ وجلسا مع جبل .

جُلنار : أبي، أنا محتاجةٌ إليكَ أكثرَ من أيّ وقتٍ آخر .

جبل : تعالي لحضنِ أبيكِ يا حبيبتي .

حكيم : دعونا من كلّ هذا العتابِ والحُزن والحديثِ المُضني وهيّا لتناولَ طعامَ القطور .

سآكلُ معكم وأدعكم قليلا ً .

جبل : إلى أين ؟

حكيم: سأذهبُ لأجلبَ لكما حِصانين قوييّن يُعيناكما في السفر .

وسأحضِرُ لكما أيضًا بعضَ المتاع .

تناولو طعامَ القطور ثمّ ذهبَ حكيم ليُحضِرَ متاعَ السفر .

وبعد تمامِ الأمر والجاهزيةِ المُثلة التي باتوا عليها؛ آنَ موعدُ اللِقاءِ المُؤجّل منذُ سنينٍ بين جبل وفاطمة.

حكيم: رافقتكمُ السلامة.

خُذي حِذرَكِ يا جُلنار وانتبهي على والدِكِ .

سأكونُ بجانبكم عندما تحتاجونني.

هيّا انطلقوا للقاءِ الأحباب .

جبل : لا أعرفُ كيف أشكرُك يا أخي .

لقد كُنت طبيبًا وراقيًا ومُنقِذًا وحارسًا والآن أصبحتَ أخي

الّتي لم تلدهُ أُمّي .

معروفكَ هذا لن أنساهُ ما حييت .

جُلنار : شُكرًا لك يا سيدي الفاضل .

أتمنى لكَ الصِّحة والسّلامة .

اِنطلق جبل مع ابنتهِ ومشيا كما أوصاهُما حكيم.

لقد نصحهما بطريقِ النّهر "البورقي " فهو طريقٌ مختصرٌ ومُحاطٌ بالأشجارِ المُثمرة وخالٍ من قُطاعِ الطُرُق والوحوشِ البريةِ .

عادَ حكيمٌ لكوخهِ وحيدًا يُحدِثُ نفسهُ كما اعتاد.

قال لنفسهِ : قُرّي عينًا ياخاتون.

لقد أدّيتُ الأمانةَ وها أنا أرسِلُ جُلنار مع أبيها للقريةِ بعد أن رفعت رايةَ النّصر وحطمت أسطورةَ الشّر الّذي أظنُ أنّه قد ذهبَ دونَ عودةٍ .

وضع يدهُ على خدّه وجلس أمامَ النّافذة ينتظرُ خبرَ وصولِ جُلنار وجبل لقريتهم بعد أن أرسلَ طيرهُ الزاجل يراقِبهم من فوقِهم .

نادى مُنادٍ في القرية .

أيُها النّاس، أيُها النّاس.

يا أهلَ القريةِ، أقبِلوا ولا تُدبروا.

لقد جاءت جُلنار ومعها ضيف .

أقبلَ أهلُ القريةِ كلُهم يهنِؤون من حلّ بدارهم .

قال خالد ومعهُ وجهاءُ القرية : أهلا ً بكِ يا ابنتي .

أمّكِ تنتظركُ وتذوبُ على فراقِكِ .

لقد أتعبها المرضُ من شدةِ حُزنها عليكِ وعلى أبيكِ من قبلكِ .

من هذا الضّيفُ الكريم؟

جبل : ألم تعرف صديقكَ ياخالد ؟

نزلَ عن صهوةِ الجواد ووثبَ أمامَ خالد وقال : أنا جبل .

خالد : لا أصدّقُ عيني .

جعلَ يغمضُ عيّنيّه ويفتحهما ويدورُ حوّل جبل ويقول:

صديقي !

يا أهل القرية، عادَ صديقي جبل .

تعانقَ الصديقان بقوّة ودموعُ الرّجال الغالية تتساقطُ من

أعيُنِهم.

بينما أهلُ القريةِ يسمعون ويشاهدون مُتأثرين بالمشهدِ الّذي يصفُ روعةَ الصداقةِ والرابطةِ القوية بيّن رجلين تعاهدا على الأخوّة والتقيا أخيرًا.

خالد: لم أخُنِ الأمانةَ ياصديقي .
لقد أعتنيتُ بعائِلتكَ كما أوصيتني؛ فرزقني اللّه ُ بتوّأمٍ بعد سنينِ الحِرمان .

هيّا يا جُلنار أسرعي لأمّك فهي تتحرقُ شوقًا إليك .

سمعت فاطمة بالخبر الّذي تناقلهُ أهلُ القرية فخلعتِ المرضَ وألقتهُ بعيدًا ثُمّ ركضتْ لسلمى كي تُشاطِرها فرحتَها كما شاطرتها هُمومها.

فاطمة : هَلُمّي يا أُختاهُ، تعالي لتُشاركيني سعادتي بعودةِ ابنتي وأبيها .

ألم أقل لكِ بأنّ قلبي لا يُخطيء .

سلمى : تعالي معي يا جارتي العزيزة.

هيّا يا أولاد لنستقبل جُلنار وعمّكم جبل .

لقد منّ اللّه على فاطمة واعادَ لها زوجَها وابنتها بعد كلّ الحُزن الّذي عاشتهُ .

يالها من عطيةٍ سخية .

جُلنار : أُمّي أُمّي .

فاطمة : تعالي لحضنِ أمّك يا حبيبتي .

تعانقَ الأحبة ورَوَوْ ظمَأهم بعدَ القُراق .

قالت جُلنار : لم أسعى يومًا بزيادةِ همّك وتعميقِ جراحَكِ فسامحيني يا أمّي .

لقد تركتكِ لأ ُخيطَ جُرحكِ القديم وأُحضِر أبي لكِ فيكونُ الدّواء والطّبيب المُداوي.

نظرت فاطمة خلفها وكأنّ قلبها حملها ورماها أمامَ الحبيب .

لم تنطق حينَ ألتقتِ الأعيُن .

فقط قالت : جبل !

بدى جبل وكأنّه يشعرُ بالنّدم على ذنبٍ لم يقترفهُ حين رأى الحالَ الّتي وصلت إليهِ زوجتهُ أِثرَ غيابهِ عنها .

جثتْ فاطمة على رُكبتيها ولم تقوى على النّهوضِ فأمسكَ جبلٌ بيدها ونهضت .

فاطمة : ها أنتَ ياجبلي عُدت أخيرًا يازوجيَ الغالي .

جعلت تُمرّرُ يديّها فوقَ لحيتهِ ورأسهِ وصدرهِ وتقول :

لم أعُد بحاجةٍ لأيّ شيء .

حتّى الهواءُ لستُ بحاجةٍ لهُ يا حبيبي .

أنا أتنفّسُكَ .

جبل : لقدِ اشتقتُ لكِ يا فاطمة .

تعالي إلى جبلكِ .

سلمى : هيّا يا أولاد، هيّا ياخالد .

فلنذهب للبيت ونترك الأحبة ينفضونَ غُبارَ البُعد عنهم .

ذهب الصّديق الوفي مع عائلتهِ بعد أن شعرَ بالاطمئنان

أخيرًا و أغلقَ البابَ خلفه .

لقد رمى ثِقلَ الأمانةِ وتنفّس بعمقٍ بعد أن التمّ شملُ العائلة .

جُلنار : لقد عادَ أبي يا أمّي .

تنعمي وكحِلي عيّنيّك بطلتهِ البهية .

لقد أخبرتني كلّ شيء عنهُ لكنّكِ نسيّتي أن تصفي لي دِفئَ قُربهِ وبهائهِ الّذي يشبهُ بهاءَ شمسِ الرّبيع .

فاطمة : الوصفُ لايكفي يا ابنتي .

أردتُك أن تري بعيّنيّكِ.

جبل : آهٌ يافاطمة، إنّني أحتاجُك .

كنتُ أعيشُ بلا روحٍ وأنتظرُ لقائنا هذا، كنتُ تائهًا وفاقدًا لكلّ شيء.

اقتربَ الزّوجان من بعضهما فتذكرا وجودَ جُلنار وقطعا الوِصال .

جُلنار : سأذهبُ لأطمأنّ على أعشابيَ وأزهاريَ .

لن أتأخّرَ يا والدي .

خجِل الوالدان بعد أن علِما بنضوجِ ابنتهم ولم ينطِقا بكلمة .

لقد خرجت جُلنار وتركت والديّها بعد أن تذكّرت لقاءَها بربيع.

تذكّرت الحبّ والقُراق .

الفرحً والحُزن .

الأملَ والانتظار.

فتحت الكيسَ وأخرجت البُذور وزرعتها في حديقةِ منزلها .

سقتها واعتنت بها .

كلّ يومٍ تطمئنٌ عليها وتسقيها.

تنامُ في اللّيل والمنديلُ بيّن ذراعيها.

عاشت على أملِ عودّةِ حبيبها.

حدّثت الشُجيرة عن حبّها وشوقُها الّذي أستمرَ مع أنفاسِها .

مرِضت جُلنار .

فكيفَ للمرءِ أن يعيشَ بِلا قلبُه.

بلا روحِهِ.

سيقتاتُ على ملامحِ طيفِ الأحبّةِ حتّى يُسكِنُ ألمهُ .

لقد عاشتِ الوريثة مع والديها بجسدها فقط .

لاحظ جبل مايجري لكنّه يعلم بأنّ الدّواء ليس بالكلام بل بـ اللقاء فقط .

لقد قصّ القِصص على زوجته وأخبرها بأمرِ ربيع كما قصّت لهُ حكاية المُعاناة الّتي عانتها منذُ غابَ عنها .

وصفت لهُ برد اللّيالي وقسوتها من دونهِ كما أخبرتهُ عن إحاطةِ عائلةِ صديقهِ بهم واهتمامِ سلمى وحنانها وطيبتها.

وصلَ خبرُ وصولِ جبل وجُلنار لحكيم بعد عودةِ الرّاجل كما وصلَ خبرُ مرضِ جُلنار .

لم يستطع المُستشار أن يُكفّ عن التفكيرِ بحالِ جُلنار فقرّر السّفر إليّها .

وبعدَ مُضيّ عِدةِ أيّام.

وصل حكيم وطرقَ بابَ منزلِ جبل ففتحَ لهُ الباب واستقبلهُ بحفاوةٍ وترحيب .

جبل : أهلا ً بكَ يا صديقي .

سأعُرّفُكَ بزوجتي فاطمة .

فاطمة : أهلا ً بكَ أيُها الشيخُ الكريم، شكرًا لصنيعكَ مع زوجي وابنتي .

حكيم : إنّه واجبي يا سيدتي .

تشرّفتُ بلقاءكِ.

لكن أيّن جُلنار ؟

لا أراها بينكم !

جبل : لقد نامت بعد ذهابِ أولادِ خالدٍ من عندها .

إنّهم يلازِمُونها منذُ مرضِها .

نحاولُ جميعًا أن نُساعدها لتستردَ عافيتَها لكنّنا لم ننجح .

كانت كلّ صباح تذهبُ للحقول وتجلسُ عند شجرةِ الرُّمان وتزورُ قبرَ خاتون لكنّها باتت مُنعزلة وقليلةَ الكلام، تكتفي برعايةِ تلكَ الشُجيرةِ فقط .

حكيم : سأراها عِندما تستيقظُ وأُحدّثُها بأمرٍ مُهم .

خرجت جُلنار من الغرفة مسرعة ووقفت أمامَ حكيم تحاولُ معرفةَ الأمر .

فاطمة : مابكِ يا ابنتي؟

ألم تكوني نائِمة !

جبل : دعيها يافاطمة، لقد سمعت بمجيءِ حكيم فنهضتْ ورمتْ المرضَ على الأرض.

سلِمي على المُستشار يا ابنتي .

جُلنار : مرحبًا بكَ يا حكيم، كيفَ الحال؟!

حكيم : الحمدُ لله يا ابنتي .

تعالي لنرى الشُجيرة ونتحدث قليلا ً .

جلسا بجانبِ الشّجرة وتحدثا حديثًا هادئًا سرّيًا .

جُلنار : أترى يا مُستشاري، لم يعد لديّ سِوى هذه الشّجرة لتُذكرني بربيع .

أراها فأرى وجههُ الجميل وأضعَ منديلهُ على وجهي فأُحسُّ بدفئِ يديّه وأنفاسهُ التي تبثُ السعادةَ فيني .

لقد طالَ غيابهُ عنّي فلم أعُد أحتمل .

الشُبان يطرقون بابي ولا يعلمون بأنّه موصدٌ ولا يملكُ مِفتاحهُ سِوى ربيع .

ماذا أفعل ياحكيم ؟!

حكيم : إنّه بخير، لا تقلقي عليه .

سيحلُ عُقد المملكةِ التي تراكمتْ بغيابهِ ويأتيكِ خاطبًا و حبيبًا كما وعدكِ .

جُلنار: أحقًا ما تقول ؟

كيف علمتَ بأخبارهِ.

حكيم : لديّ وسائِلي ورُسلي.

اِطمأنّي يا ابنتي .

كُلّما أورقتْ شجرةُ العِشقِ ونَمَتْ فحُبُكُما مُصانٌ وربيعٌ بخير؛

لذا كلّما أحسستِ بذبولِها، تكلّمي معها وأخبريها عن حُبّك لهُ واسقيها واعتني بها .

سيعودُ عاجلا ً غير آجل .

أنسيتي أنّك تأسِرين قلْبه .

ضحكت جُلّنار واطمأنّت بكلامٍ حكيم، لقد كان المُستشار أمينًا صادقًا يحيطُ بِها ويساعِدُها كلّما احتاجتهُ.

إنّه العشقُ يا سادة، يغزو الأرواحَ قبلَ القلوب .

إنّه مُحتلٌ رحيم .

يستبيحُ الأسوارَ دون سيفٍ أو قتال .

يتجذّر فينا حتّى يتماهى مع خلايانا ويندمجُ مع كلّ

قطعةٍ مِنّا .

يمتزجُ بين الشرايّن ويختلطُ ويذوبُ كما يذوبُ المِلحُ في الماءِ فيجعلهُ بحرًا طهورًا ماءُهُ تسكنهُ الثّروات وتستقرُّ الكنوزُ في أعماقهِ.

يحوّلنا لمحيطٍ هائجٍ مُظلمٍ يبتلعُ كلّ من لا يحسنُ الغوصَ فيه .

ستمشي قلوبُنا برهنِ الهوى أميالًا لتتصوّرَ المشهدَ المُؤلم

وتستذِكرَ كلّ لحظةٍ صقلتْنا من الدّاخلِ وأطفأتْ قصائدَ الماضي فينا .

لا نريدُ مفاتِح المَلكوت وعرشَ التميُّزِ بيّن الأقران، نريدُ مفتاحَ المحبّةِ والسكينةِ، مفتاحَ الأملِ بالعودةِ من جديد، مفتاحًا يفتحُ روضَ الصّلاحِ ليرسمُنا قمرًا لا ينكسرُ بالبُعدِ .

أصبحت الأطيافُ ترتادُنا من جديد وتمزّقُ ماتبقى مِنا بعد أن عادت الحياة للحروفِ لتنطقَ بما يجوّلُ فينا .

رُغمَ تشظّي الرّوحِ .

رُغم الممراتِ الضّيقة في مدائنِ أسرارِنا المخفية .

ها هيَ العاشقةٌ تواري سوءةَ الرّوحِ لتسترَ ضعفها وتكملَ

حياتها تعانقُ شجرةٌ تحملُ رائحةَ الحبيب .

اصطلت بقبسِ المنديلِ لتُدفئ صقيعَ الحِرمان والبُعد .

أختارتِ البقاء من أجلِ والديها ومُسايرةِ الواقعِ ومُحاكاةِ طبائعِ البشر .

كلّمت الحيوانَ والشجر .

سألت القبرَ عن حلٍّ فلم يُجِبها.

واست نفسها بحلمٍ يرتادُ نومها وإلّاهُ لما نامت أصلًا.

ربيع يأتي إليها فقط في منامها وكأنّه خيال منسوجٌ تنقضُ غزلهُ الحقيقةُ المُرة.

لقد تداولتها الأيّام وحفرت حبيبها فيها مع كلّ فجرٍ صادقٍ يُطهرُ وجهَ السّماء ويُجمّلها بنورِ اليقين .

كلٌ غنّى على ليلاه.

سارت سُنّة الحياة بعد أن تخطّت جُلنار .

مِنهم من تزوّج وأنجب ومنهم من سافر وأزدهرت تجارتهُ ومنهم من يواصلُ النّماء والعمل، ورسولُ حكيم يكتفي بخبرٍ واحد فقط " إنّه بخير، سيعودُ إليّك قريبًا" .

بينما جبل وفاطمة يُعيدانِ التّاريخ ببنتهما ويريانِ عذابهما يتكرّرُ معَ جُلنار دونَ أن يملكانِ لها حولًا أو قوّة .

مشت الحياة كما ينبغي تاركةً الوريثة في صومعةِ الانتظار.

وربيعٌ يحاربُ ليستعيدَ الممّلكة ويعيدُها لنِصابها .

ماذا سيحدثُ مع أهلِ الهوى ؟!

متّى ستثمرُ الشّجرة في حديقةِ الوريثة؟

مادورُ المُستشار في حياةِ الأمير وحبيبته ؟!

إلى أينَ ستؤول أمورُ جبل وزوجَته ؟!

ما أخبارُ عائلةِ خالد؟

ما هي أسرارُ خاتون المخفية؟

هل ستعودُ أذنابُ الشّر مرّة أُخرى؟

ماذا سيحلُّ بالقرية؟

هل أعتزلت جُلنار مهنةَ خاتون حقًّا؟

متّى سيكونُ اللِّقاء بين الرّبيع وزهرةُ الرُّمان ؟

هل نهايةُ الرِّواية ستكونُ حزينةً أم سعيدة؟!

سأجيبُ على كلِّ هذهِ الأسئلة في الجزء الثّاني من رواية " جُلنار " زهرة الرُّمان، إن شاء اللّه تعالى وإن بقيت لي أيّامٌ أُخرى أعيشها في هذهِ الدُّنيا .

الخاتِمة :

إنّ الحياة مجموعةٌ من القِطعِ المُبعثرة ونحن نجمعها كما نريد .

هناك من يجمعها في لوحة الشّر والكُره والبغضاء.

يمتهن الأذى ويتغطرسُ حتّى يظنُّ بأنّه قادرٌ على خرقِ الأ

أرضِ وبلوغِ الجبال .

ومنهم من يجمعها في لوحةِ الخيرِ والحبِّ والنُّور والوفاء .

يمتهنُ الطّيبة فيصبحُ ساذجًا في أعينِ الحاسدين ليرمُونه بحجارةِ الكلماتِ الجارحة لأنّه فقط شجرة مثمرة .

يجمعُ لوحته بألمٍ ويرسمها بنبضاتهِ ليوصلَ رسالة السّلام للعالمِ كلّه على الرغمِ من كل المُعاناة و الفُراق والانتظار.

قد ينتصر الشّر أحيانًا لكنّه يبقى دون صدى، يبقى أسيرًا أثرَ الخير القابعِ في كلّ ممرٍّ حطمهُ وبين عروقِ كلّ فؤادٍ مكسور .

فاختر اللّوحة الّتي تشاء ولا تنسى التّوقيعَ أسفلها ليشهدَ على أفعالكَ الّتي لوّنتك.

أمّا بالنسبةِ لي فقد اخترتُ لوّحتي ووقعتُها بروايتي

"جُلنار" لتشهدَ على عشقي للكتابة والإبداع.

السّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ.

إلى اللقاء .....

تم بحمدلله.

رواية جلنار

ليست مُجرّد فتاةٍ عاديةٍ؛ إنّها نقطةُ التقاءِ الجمال بالجاذبيةِ والعلمُ بالحبِّ والأدب .

تُجسد ملاحمَ الصّراع الأبديّ بيّن النّفس وشهواتِها وبيّن الرّوح وملوثاتها.

بيّن الخيرِ والشر

بيّن العشقِ والبُعد

هي" جُلّنار " زهرةُ الرُّمان المُهيَّئةِ لتثمرَ بفاكهةِ الجنة .

هي وريثةُ المُلك، حاملةُ مفتاحِ البوابةِ النّجمية والعاشقة الّتي تُمتحنُ بأميرها الغائب .

تتقدُ وتشتعلُ زهرتُها فتجذبُ إليها كلَّ الطّاقات الرّوحية النّورانية فتقودها لتحقيقِ العدالةِ وحرّق حاكمةِ الوادي بقوّةِ الهالةِ الزّرقاء الّتي تُحيطُ بها .

لقد ارتدت أثوابًا كثيرةً رُغم صِغر سنّها .

هي الابنةُ البارة والصديقة الوفية وطبيبةُ القريةِ المشهورةِ .

ستحلُ ضيفةً في قلوبكم لتشربكم من وحيِّ تجاربها المُرة والحُلوة فتهيؤوا لاستقبالها وأحسِنوا الضّيافة .

" قبس دخيل "

دار أحرفنا المنيرة
للنشر الإلكتروني
المؤسسة: إسراء عيد